
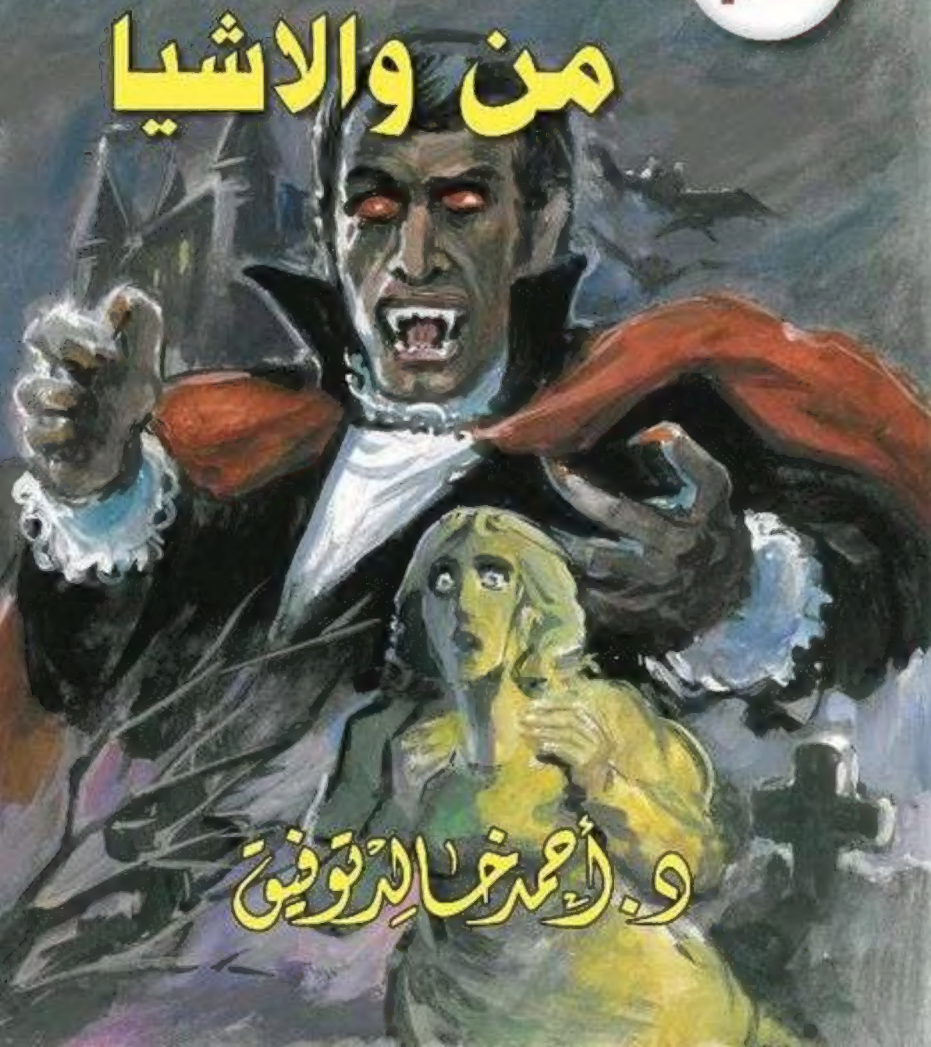


روايات مصرية | 

2

# حكايات من والاشيا

فانتازيا



و. إ. محمد غسان الزقوف

## مقدمة

اسمها ( عبير ) ...

لم يكن لها نصيب من اسمها ... فهي تفتقر إلى  
الجمال الذى يوحى به الاسم .. إنها سمراء نحيلة  
بارزة عظام الوجنتين ، باردة الأطراف .. ترتجف رعباً  
من أى شىء وكل شىء ...

إنها حتى غير مثقفة .. وبكل المقاييس المعروفة  
لا تصلح كى تكون بطلتنا .. أو بطلة أى شخص سوانا ..  
هى لا تلعب التنس ، ولا تعرف السباحة ، ولا تقود  
سيارات ( الرالى ) ، وليست عضواً فى فريق لمكافحة  
الجاسوسية ، أو مقاومة التهريب ..

لكن ( عبير ) - برغم ذلك - تملك أرق روح عرفتھا فى  
حياتى .. تملك إحساساً بالجمال ورفقاً بالكائنات ..  
وتملك مع كل هذا خيالاً يسع المحيط بكل ما فيه ...  
لهذا أرى أن ( عبير ) هى ملكة جمال الأرواح ، إذا  
وجد لقب كهذا يوماً ما ..

ولهذا أرى أن ( عبير ) تستحق مكافأة صغيرة ...  
ستكون بطلتنا الدائمة .. ولسوف نتعلم معا كيف  
نحبها ونخاف عليها ونرتجف فرحاً إذا ما حاق بها  
مكروه ....

ولأن ( عبير ) تملك القدرة على الحلم .. ولأنها  
تخترن في مقدمة مخها مئات الحكايات المسلية ، وآلاف  
الأحداث التي خلقها إبداع الأدباء عبر العصور ..  
لذلك وقع عليها الاختيار كي ترحل إلى ( فانتازيا ) ..  
( فانتازيا ) أرض الأحلام التي لا تنتهى ..  
( فانتازيا ) حيث كل شيء ممكن .. وكل حلم متاح ..  
( فانتازيا ) جنة عاشقى الخيال ....  
ولسوف نرحل جميعاً مع ( عبير ) .. سنضع حاجياتنا  
وهمومنا فى القطار الذاهب إلى ( فانتازيا ) ..  
وهناك سنتعلم كيف نحلم ...  
إن صفير القطار يدوى ، والبخار يتصاعد حول قاطرته ..  
هو ذا جرس المحطة يدق .. إذن فلنسرع ...!  
لقد حان موعدنا مع الأحلام فى ( فانتازيا ) ..



## الجزء الأول

### هي

مقدمة لابد منها لنعرف كل شيء عن أبطالنا  
وعاداتهم ومشاكلهم قبل أن يرحلوا إلى (فانتازيا) ..

## ١- عودة إلى الواقع ..

هنا نحن أولاء نعود إلى أرض الواقع ..  
كنيب بعض الشيء .. هذا صحيح .. لكنه آمن  
ومألوف .. ولا نتوقع فيه أية مفاجآت غير سارة ..  
أنت تعرف راحة يدك جيدا .. وتعرف أنك كلما نظرت  
إليها وجدتتها كما هي : راحة يد .. فإذا افترضنا أنك  
نظرت إليها الآن ، ووجدت بدلا منها مخالب ذئب ، أو  
هالة من النور ، أو سمكة قرش ، فمن المؤكد أنك  
ستلول هلعاً .. وستتمنى لو أن هبة الخيال قد زالت  
عنك ؛ لتعود الأمور إلى مألوفها القديم ..

ربما أن مشاعر كهذه قد دارت في خلد ( عبير  
عبد الرحمن ) ، يوم عادت تمارس حياتها السابقة ..  
كان مذاق مغامرتها القصيرة التي لم تكتمل قط مع  
( هولمز ) و ( بوارو ) عالقاً بلسانها .. بعد لم تنس  
عبق الطباقي القوى الذي يدخنه ( هولمز ) ، ولا البارفان  
الفرنسي الثمين الذي يضح به ( بوارو ) طرفي  
شاربه .. ولا لغته الإنجليزية المضحكة .

لم تنس صوت ( سوستة ) القلم في يد المرشد ،



ولا هدير القطار الصغير الذى عبر بها (فاتناريا) ..  
لقد حدث لها هذا كله .. وهى تؤمن بأنه كان  
حقيقياً ..  
لكن أحدا لم يصدقها .. وهى لا تلوم على ذلك سوى  
نفسها ..

ولكم قضت الساعات فى سجنها الضيق داخل  
الحارة ، ترمى العالم الخارجى .. وتضحك على دعايات  
لم يقلها أحد .. وتقطب من مواقف خطرة لم تحدث !!  
الخلاصة أنها - بالنسبة لذويها - بدت على شفا  
الخيال ، وكان هذا منطقياً للغاية .. وكانت تفهمه ..  
ومن نافلة القول هنا أن نقول إن سجنها كان  
كاملاً ..

حرمتهما الأسرة من الخروج .. من زيارة  
الصديقات .. من العمل بكل أنواعه ، برغم أن عروضاً  
مغرية جاءت بها من الجيران ..

الوقوف فى مكتبة ؛ لتبيع المساطر والأقلام لطلبة  
المدارس مقابل سبعين جنيهاً فى الشهر .. العمل فى  
محل أزياء جاهزة ، مقابل تسعين جنيهاً فى الشهر ..  
ليس هذا فحسب - تخيلوا - بل إن صاحب المحل يضمن  
لها أن يقدم اسمها إلى التأمينات الاجتماعية كي تحظى

بتأمين صحى كامل ..

ثمة عرض مسلّ جاءها من صاحب نادى ( فيديو ) ..  
كل ما عليها أن تجلس كالصخرة طيلة اليوم ؛ لتدوّن  
أسماء من يقترضون الأفلام ومن يعيدونها .. ويمكنها  
مشاهدة بعضها على تليفزيون صغير هناك ..

عروض كلها مغر .. أو - حتى لانتهم بالمبالغة -  
كلها يفوق الوصف ، والفرص المتاحة لفتاة لها  
مؤهلات ( عبير ) من القبح والتعليم المتوسط والذكاء  
المحدود ..

لكن الأسرة رفضت بصرامة .. وكما قالت أمها  
- وهى منهمكة فى تمزيق العلب الورقية القديمة إلى  
شرائط تصلح لإشعال الموقد توفيراً للثقاب :

- أنا لم أعد أضمن أحداً .. أمس قالوا لى : دعيها  
تعمل فى الكمبيوتر .. ذهبت إلى هناك وعقلها يزن  
الدنيا وما فيها .. فإذا بابن الـ ( ... ) هذا يعيدها لى  
فاقده الرشد .. وحتى حين أفاقّت صارت إلى العتة  
أقرب .. كلاً ! .. ربما يعيدها لى صاحب العمل الجديد  
جثة هامدة أو أسوأ .. لا يا سيدى .. الله الغنى عن  
عمل هذه ...

يجب أن نقول هنا إن ( عبيير ) هى الأخرى لم تعد

راغبة فى أن تعمل .. فالتعمل كان يعنى المزيد من  
الواقع الكئيب الذى تحاول الهرب منه طيلة الوقت ..  
كانت تعرف أنها خلقت لعالم آخر .. عالم له مقاييس  
أخرى غير هذا العالم .. ولقد وجدت ضالتها يوم  
ارتحلت إلى (فانتازيا) .. يقولون إنها كادت تهلك ..  
يقولون إنها كانت فى غيبوبة .. ولكنها هى نفسها لم  
تخف ولم تجزع .. وهى هى ذى اليوم سالمة تماما ..  
فلماذا لا تعيد التجربة ؟

\* \* \*

أين ذهب ( شريف ) ؟ ..

هى لم تره منذ أعادها إلى دار أسرته ، وكاد أخوها  
يفتك به ، لولا أن فرحة نجاتها تكفلت بتسوية  
الحسابات ، وعرفت أن أهلها قد قلبوا الدنيا فوق رأس  
( شريف ) ، ذلك البائس .. وأن الحادث نشر فى صحف  
عديدة .. لكن غرابته كانت تجعل شيئا من عدم  
التصديق يحوم حوله .. وتكفلت آراء الأساتذة الأطباء -  
الذين يقضون حياتهم فى الإدلاء بآرائهم للصحف  
- بإضاعة الحقيقة تماما ، باعتبار ما حدث نوعا من  
التهاب المخ .. أو غيبوبة سكر .. أو تصلب منتشر ..  
لهذا كله لم يلق ( شريف ) عقابا معينا .. لكنه



اختفى .. اختفى تماما وهى فى أشد الحاجة إليه ..  
لأنها تحب ( فانتازيا ) .. ولأنها..... تحبه ...

\* \* \*

وجاء العريس المرتقب ..

اسمه ( سعيد ) .. عائد لتوذه من ( الأردن ) أو  
( العراق ) لا تذكر بالضبط ..

تخرج فى أحد هذه المعاهد التى لا يمكنك تذكر اسمها  
والتي لا مستقبل لها على الإطلاق ، وهو يعمل أساسا  
فى تجارة الأدوات الصحية مع أخيها .. وأحيانا  
( يتسلى ) بممارسة السباكة ، حبه الأول والأخير على  
حد قوله ..

فظ هو .. له شارب كث ، يعتقد أنه فاتن .. ويتكلم  
بلغة ( الصنایعية ) برغم أنه متعلم ، ويظف أعقاب  
السجائر على البلاط .. ويصق كثيرا فى منديل  
( محلاوى ) عملاق ، خيل إليها أن هذا هو كفتها  
نفسه .. ويظيل ظفري إصبعيه البنصر ..

وكان يملك شقة من حجرة وصالة فى حارة  
مجاورة .. وقد اتفق على ( النابوليا ) مع أحد التجارين  
فى الحى ؛ لأنه - كما قال - يحب ( النابوليا ) الثقيلة  
المليئة ( بالأويما ) ..

- « الخشب الجيد يا ( تانت ) » - يقول لأمها - هو  
أهم شيء .. !

وفى دَعر تأملت ( عبير ) الموقف ..  
واضح أن الكل متحمس لهذا العريس الجاهز ..  
والكل يؤمن بأن هذه أفضل فرصة ممكنة لها ..  
وهي تعرف أنها لن تقاوم كثيرا ..  
منذ الطفولة تعلمت ألا تقاوم ما يُراد بها .. إن حياتها  
تتلخص في أنهم ( جعلوها فاجعلت ) .. ومعنى هذا أنها  
ستصحو يوما لتجد نفسها عند الكوافير الذى فى أول  
الحارة ، يلطخ وجهها بالمساحيق الرخيصة ، ويثبت لها  
الطرحاة على الفستان الردىء ، الذى استأجرته بعشرين  
جنيها .. ثم تزغرد النسوة وكل واحدة منهن تضع رضيعا  
على كتفها .. وتبدأ الطبول تدق بأيدى ( صياح ) الحارة ..  
ويتقدم فارسها منها ، مرتديا بدلة لونها سُكرى  
قبيح ، وهو يجفف عرقه بمنديل ( محللوى ) عملاق ..  
على حين يرسل ( الفيديو ) - بالفاء - إضاءة حارقة  
على الوجوه ، والزغاريد المسعورة .. وصديقاتها  
يقبلنها فى افتعال ثم تنهض كل واحدة لتنزع حذاءيها  
وترقص حافية القدمين بعض الوقت ، محاولة أن تجد  
لنفسها عريسا آخر بين الموجودين ..

وينتهى كل شيء لتجد نفسها تشارك ( سعيد ) هذا  
حياته .. وأحلامه .. وطموحاته .. وكل شيء ..  
كيف يمكن أن تعيش مع رجل ، السبابة هي حبه  
الأول والأخير .. ويؤمن أن الخشب الجيد أهم شيء فى  
الوجود ؟! ..

هى .. هى التى قرأت كل شيء عن ( أرسين لوبين )  
و ( هولمز ) و ( روب روى ) و ( سوبرمان ) و ... و ...  
كيف تقحم فى كل هذا ؟ .. لماذا لا ينقذها ( أدهم  
صبرى ) بطائرة هليكوبتر تنتزعها من هذا العالم  
الخائق ؟ ..

لماذا لا يهرع فرسان ( النجا ) بسيوفهم ليأخذوها  
معهم ؟! .. لماذا .. لماذا .. ؟  
- ( شريف ) ..

همست وهى ترمق الزقاق المظلم متجاهلة الضوضاء  
خلف ظهرها ..  
- أريد العودة إلى ( فانتازيا ) !

## ٢- رحلة جديدة ..

و ( شريف ) لم يكن قد تلاشى من الكون ...  
المهندس الموهوب ( شريف إبراهيم ) . اوسيم  
كتمائيل الإغريق .. الذكى كفلاسفتهم .. : لم يكن قد  
ابتعد إلا ريثما يهدأ غبار المعركة . ويتبين موضع خطأ  
قدميه ..

لقد أحرز نجاحا باهرا .. صحيح أنه نجاح مبتور .  
لكن انتزاع النبتة قبل أن تنمو وتزدهر ، لا يعنى أنها  
فى ظروف أفضل لن تنبت .. وكانت نبتته موشكة على  
الازدهار ..

\* \* \*

بعد دراسات مدققة استطاع أن يفهم خطأ البرنامج  
السابق ، الذى كان يدخل الفتاة فى حلقة لانهاية ..  
وبعد تطوير الجهاز ليصير أكثر براعة فى الأداء .  
قام بتزويده بالشىء الذى كان عليه أن يضعه من  
البداية :

مكبر صوت !! ..

نعم مكبر صوت يمكنه افتتاح عالم الكمبيوتر . الذى

يخلق الأحداث العشوائية . وبالتالي يدخل صوته إلى  
عالم الحلم ليسهم بالتوجيه إذا كانت هناك معضلة  
ما تواجه الفتاة ..

إن كل شيء جاهز .. والان يمكنه أن يطلق على  
الجهاز اسم ( دى - جى - ٢ ) فهو التطوير الثانى ..  
وللذين يتعذر عليهم فهم السياق . أرجح أنهم لم  
يطالعوا الكتيب الأول بعد .. لهذا أرجوهم أن يجدوه  
ويقرءوه لأن السلسلة كلها تقوم على كفى هذا الكتيب ..  
إن كل شيء جاهز .. وأنتم تعرفون ما يعرفه  
( شريف ) ..

والان يجب العثور على ( عبير ) ..

\* \* \*

لكن ( عبير ) قد صارت عسيرة المنال ..  
هى لم تعد إلى مكتب الكمبيوتر إياه قط .. ولم  
تتصل به ولا بصديقه .. وبرغم أنه يعرف عنوانها ،  
فهو لم يعد راغبا فى العودة إلى هناك .. لقد كان أخوها  
فظا ولوشك أن يفتك به ، فى ذلك اليوم الذى عاد إليهم  
بها سالمة من الغيبوبة ..

و ( شريف ) لم يكن ذا باع فى المشاجرة .. وكان  
يرتج عليه كلما وجد أحدهم يصرخ فى وجهه . فما بالك  
بمن يريد ضربه ؟



لكنه فى أمس الحاجة إلى ( عبير ) ..  
فماذا يفعل ؟

\* \* \*

وهنا لا يفوت كاتب هذه السطور . أن يلفت نظركم  
إلى المفارقة فى هذا الموقف .. إن طرفى الصفقة  
راغبان أشد الرغبة فى إتمامها . ومع هذا فهى لا تتم ..  
لأسباب شتى ..

يبدو لى فى اللحظة الحالية أن الوضع مستحيل .. ،  
لكنى لا أعرف حقاً ما قد تقدمه الحياة من مفاجآت ..  
وما يبدو مستحيلاً اليوم ، قد يغدو ممكناً غدا .. دعونا  
نتنظر ولا نبلى ..

\* \* \*

لهذا - وفى ذلك النهار الدافئ - سمع ( شريف )  
قرعات على باب شقته .. ففتحه ..  
وفى ضوء المدخل الخافت ، رأى وجهها الشاحب  
ينظر نحوه فى أمل .. تحاول ألا تقفز وتصفق بيديها  
فرحاً كما هو واضح ..

أحس بالحرج .. دعاها إلى الدخول ، وأجلسها فى  
الصالة . ثم هرع إلى الحمام يعيد تمشيط شعره . ويحكم  
إغلاق سترته ..

ثم عاد إليها ..

منزوية منظوية على نفسها كيمامة تهشم جناحها ..  
جالسة وسط ديكورات المكان الأنيقة المتحذقة . كأنها  
ذبابة تقف على مفاتيح كمبيوتر حديث ..

جلس أمامها وحاول أن يبدو رصينا وقال :

- كيف عرفت العنوان ؟

هو ذا صوتها المبحوح المألوف يتردد :

- من الأستاذ ( صفوت ) .. كنت عنده الان ..

- وهل يعلمون في دارك أنك هنا ؟

- لا ..

- إذن لن أرحب بوجودك دقيقة أخرى ..

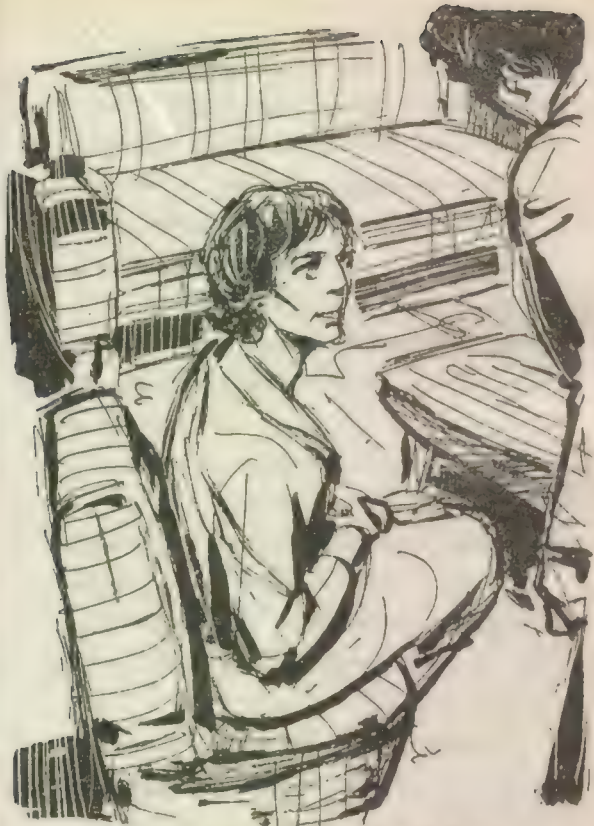
نظرت في عينيه .. وللمرة الأولى رأى تلك القوة  
الكاسحة في نظرتها .. هي تعرف كيف تحصل على  
ما تريد ، وسوف تحصل عليه ..

يا له من مأزق ! .. الحقيقة هي أنه غير راغب  
- وغير قادر - على أن يطردها .. ولكن ماذا عساها  
تقول ؟

- أنت لا تفهم .. لقد جئت ها هنا بمعجزة حقيقية ..

- تعنين أنك محددة الإقامة بشكل ما ؟

- هو كذلك .. إن قرأتني بعد شهر من الان ..



هو ذا صوتها المألوف يتردد :

— الأستاذ صفوت ، كنت هنا الآن

- إذن خرجت هذه المرة ضمن المشاوير الكثيرة .

التي يكون على العروس المنتظرة ان تقوم بها .

- نعم .. كنت ذاهبة إلى الخياطة . سمحوا لي

بالذهاب وحدي . لان الجميع مشغول ..

نظر لها هنيهة متسانلا في سرد عن شعورها تجاه

الزيجة المنتظرة .. لا تبدو طائفة من الفرح .. لكنه قرر

ان يطلق طلبة اختبار ليعرف رد فعلها تجاه عريسها

القادم :

- مبروك !

وكانت النتيجة مذهلة ..

انفجرت الفتاة باكية .. كل هذا الماء يسيل من عينيها

وانفها وفمها الذي نسيت ان تغلقه .. يا لك من حمقاء

تماما ! .. ان بكاء امرأة امامك لشبيهه بانفجار صنبور

المياه في الحمام ..

محاولات تعدة خرقاء منك لوقف هذا السيل . الذي

يوشك ان يجرف كل شيء .. كل شيء ..

- آنسة ( عبير ) !

قدم لها منديلته .. ثم هرع إلى المطبخ فجنب لها كوبا

من الماء البارد ... وحين عاد إليها كان قد عرف

اجابة سؤاله ..

يجب الان أن يكون حذرا . فالجزء التالى من  
المعضلة قد يكون واحدا من ثلاثة افتراضات :

١ - الفتاة تحبه هو : وهذه كارثة .. وكما قال  
( ستيفن زفايج ) على لسان أحد أبطاله : « الذناب فقط  
هم من يسعدون بحب امرأة لا يحبونها .. إن حب امرأة  
ليس نصرا ، بل هو كارثة حقيقية .. جبل من المسئولية  
عليك أن تزحجه عنك دون أن تدميها ، أو تبدى  
فضافة .. »

و ( شريف ) لم يكن ذنبا .. لهذا - حتما - سيجعله  
حبها تعسا ..

٢ - الفتاة لا تحب أحدا بالذات .. هى فقط تمقت  
عريسها القادم .. وفى هذه الحالة ماذا تريد من  
( شريف ) بالضبط ؟ ..

هو لا يذكر أنه يحزر بابا باسم ( طبيب القلوب ) أو  
( لمشكلتك حل ) فى أية مجلة .. ومن الغباء أن تفترض  
أنه يملك حلا لورطتها ..

٣ - الفتاة تحب ( فانتازيا ) : وهذا هو أقرب  
الاحتمالات للصواب .. وهذا هو ما يرجوه بالضبط ..

إن ( شريف ) يتمتع بعقلية تحليلية بارعة .. كأنما  
يخطط أحد برامج الكمبيوتر بأسلوب ( الشفرة المزيفة ) ..



نكن احتمالا رابعا فاته .. هو أن تكون الاحتمالات  
الثلاثة الأولى صائبة جميعا .. ! وأنا أرى أن هذا هو  
الأقرب إلى الصواب ..

\* \* \*

وهكذا ..

وبعد جهد جهيد استطاع أن يفهم أن الفتاة تعاني  
حالة عدم قبول مزمنة لعالمها وواقعها .. هي  
غير راغبة في التورط أكثر في هذا الواقع المرير الذي  
لا يتغير ..

قال لها في صبر :

— ليكن يا ( عبير ) .. لنقل إننى أعدتك إلى  
( فاتتازيا ) ..

أنت الآن تعرفين أن هذا سيتم لمدة ساعتين أو  
ثلاث .. بعدها تعودين إلى ذات الواقع ..  
— أعرف .. لكن ذكرى هاتين الساعتين ستعطينى  
القدرة على تحمل أسابيع أخرى من الشقاء ..

نظر لها حائرا ولم يدر ما يقول ..  
للمرة الأولى يرى الجانب الأخلاقى من الموضوع ..  
الهرب من الواقع .. هذا هو ما يقدمه ..  
نفس الشيء يقدمه بائع الخمر وتاجر الحشيش ..

وهو - اذ يرى ( عبير ) بجفنيها المتقرحين ونهفتها -  
يشعر كأنها مدمنة مخدرات . جاءت طائبة جرعة  
( الماكس ) اليومية ..

كان القرار عسيرا ..

وادرک انه عاجز عن تقييم نفسه : اصائب أم  
مخطئ .. احسن او سئ ..

نكن ( عبير ) قالت كأنما تقرا خواطره :

- إن ( فاننازيا ) ليست مجرد خزعبلات .. إنها عالم  
خاص فذ . خلقته عبقرية الأدباء عبر التاريخ ..  
ونظرت له في ثبات وأردفت :

- أرجوك !

في تردد غمغم :

- ليكن .. لكنها المرة الأخيرة ..

- أنت تعرف أنها لن تكون المرة الأخيرة .. أنت  
بدأت شيئا وتريد رؤية تمامه .. وكذلك أنا ..

\* \* \*

كان الكمبيوتران موضوعين على مكتب صغير في  
الحجرة التي يستخدمها لأبحاثه . والفوضى ضاربة  
اطنابها في كل مكان ..

عشرات الاسلاك والمعدات .. دوائر متكاملة منقاة

.. على الأرض .. أوراق ممزقة .. قوالب .. مقاومات ..  
وعشرات من اكياس حلى النعناع الفارغة ..

وكان رسام المخ موضوعا على منضدة صغيرة .  
بينما جهاز ( الديجيتايزر ) فوق مقعد خشبي ..  
قال وهو يعينها على الجلوس :

- لقد قمت بإجراء تطويرات عدة ستعرفينها فى  
حينها .. إلا أن هناك نقطة يهمنى أن تلمى بها ..  
نظرت له وقد اتسعت عيناها شغفا .. فأضاف :

- فى عالم الهلوس يكون وجدانك ونظامك الطرفى  
مندمجا بالكامل فى الهلوسة .. والنظام الطرفى له  
سيطرة كاملة على ( المهاد التحتى ) و ( النخاع  
المستطيل ) .. هل تفهمين هذا ؟

- ولا حرف !

ابتلع ريقه وقطب محاولا العثور على صيغة أسهل :  
- حسن .. لنقل إن الهلوسة سيكون لها أثر عنيف  
على ضربات قلبك وضغط دمك وخلافه .. وإنه لو حدث  
أن هلكت فى أثناء الحلم ...

واتسعت عيناها ونظر إليها :

- ستهلكين فى الواقع فى نفس اللحظة !

- ولماذا ؟

- لأن قنبت سيتوقف من الصدمة العصبية .. وهو ما  
قد يحدث لضعاف القلوب . إذا ما رأوا كابوسا . لهذا  
عليك أن تحتاطي وتحافظي على حياتك قدر الإمكان ..  
وأنا سأتصل بك لأعطيك رأيي في المواقف العسيرة .  
تساءلت وهي تترك له رأسها يثبت عليه الأقطاب :  
- ولماذا تقحم نفسك في هذه المخاطرة إذن ؟ ..  
ابتسم ابتسامة لم ترها ولم يقل شيئا ..  
كان راغبا في استكمال التجربة .. ولولا أنها ليست  
له - التجربة - لكان أول من يثبت هذه الأقطاب حول  
رأسه هو ..

على كل حال ...

ضغط مفتاح الإدخال في جهاز الكمبيوتر ..  
وبدأت ( عبير ) رحلتها الثانية ..  
إلى ( فانتازيا ) .....

.....

## ٣- القلعة ..

فى هذه المرة كان الانتقال أكثر سلامة ونعومة ..  
لم تغرق ( عبير ) فى قىء الذكريات الذى وجدت  
نفسها فيه أول مرة ..  
ولكنها رأت ظلما دامسا يسطع فيه ضياء باللورى  
خافت بلون الكهرمان ..  
وفى قلب هذا الضياء كانت ترى لقطات منفصلة  
سريعة من حياتها السابقة .. خطر لها فى هذه اللحظة  
مدى التشابه الذى كتبوا عنه كثيرا ما بين الحلم  
والسينما .. الظلام فى السينما هو ذاته ظلام النوم ..  
ثم تتهاذى الروى على الشاشة الفضية للسينما ، أو  
تلك الشاشة الوهمية التى يخلقها العقل الباطن فى  
الحلم ..

خطر لها كذلك أن ما تراه ربما يكون شبيها بما يراه  
المحتضرون .. حين يدور شريط حياتهم كاملا أمامهم .  
فى زعم الزاعمين طبعاً .. الفارق هنا هو أن المحتضر  
لن يعود ليحكى ما رآه .. أما هى فتعرف أنها ستحكى  
كل حرف لـ ( شريف ) حين تعود .. ولماذا تحكى ؟ ..



لا بد ان ( شريف ) جالس يراقب كل هذه الأحداث الآن ..

\* \* \*

لكن الوضع بالنسبة لـ ( شريف ) كان مختلفا بعض الشيء .. فالصور على شاشة الكمبيوتر العارض كانت تتحرك بسرعة لا تصدق . ويستحيز على نعين البشرية أن تستخلص منها سوى بضع بقع سوداء وبيضاء تتوالت أمامها ..

لهذا كان عليه أن يستخدم برنامجا خاصا . يقوم بتحليل الصور وتفكيكها إلى لقطات تعرض بسرعة ثماني لقطات في الثانية . على شاشة كمبيوتر ثالث .. وهكذا يستطيع أن يرى الأحداث بسرعة معقولة ، وفي ذات الزمن الفعلي للحلم ..

وسر هذه السرعة منطقي جدا .. إن الفتاة ستحلم لمدة نصف ساعة أو ساعة .. لكن أحداث حلمها تستغرق أياما .. ربما أعواما .. ( فالزمن لا وجود له في العقل الباطن ) كما قال سيد مفسري الأحلام ( سيجموند فرويد ) يوما ما .. ومعنى هذا أن ماتراه مضغوط إلى حد لا يصدق . وعليه هو أن يفكك هذا الانضغاط ليتمكن من الرؤية والفهم ..

\* \* \*

مرة أخرى وجدت (عبير) نفسها واقفة على  
الهضبة أياها ..

وإذ نظرت وراء كتفها . وجدت ( المرشد ) ممسكاً  
بقلمه الشهير ذي ( السوستة ) . يداعبه بذاته  
النريقة المستفزة

من .. تَك .. تَك .. تَك .. تَك ..

- مرحباً بك يا صغيرتى .. لقد هربت منا فى المرة السابقة دون مبرر فى الواقع ..  
أشرق وجهها إذ رآته وهتفت :  
- كنت مجبرة على ذلك .. صدقتى !

- لا عليك .. والان هيا بنا .. القطار ينتظرك ..  
وتأبط ذراعها فى رفق واتجه بها إلى القطار الصغير  
الواقف على القضيب يهدر ..

وبدأ القطار يتحرك وسط مشاهد غريبة لم ترها من قبل .. قالت له وأنفاسها تنقطع انبهارا :  
- نعم أرى هذا الجزء في الرحلة السابقة ..

- هذا طبيعي .. إن (فانتازيا) لا تبقى على حال ..  
في الواقع فقط يمكنك أن تقسمي أن (طوخ) تقع ما بين  
(بنها) و (قليوب) .. وأن (عين شمسر) تقع جوار  
(المطرية) .. أما في عالم الخيال فلا توجد حقائق

مؤكددة .. كل شيء يتغير ... ونو أن الخيال اكتسب  
جمود وثبات الواقع لما صار خيالا ..

كادت تصفق بكفيها طربا قائلة له ( أعد ) ..

ثم سألته دون أن تبعد عينيها عن الطريق :

- ما هي مغامرة اليوم ؟

- أنت صاحبة القرار ..

- لقد غادرت عالم ( هولمز ) و ( بوارو ) قبل أن

أعرف لماذا قتل الخادم سيده اللورد .. فلو أنني عدت

إلى هناك لـ ...

هز كفه بحركة توحى بالسأم .. وقال :

- دعك من هذا .. إن التفاصيل لا تتكرر هنا .. ولو

أنك عدت لوجدت قصة جديدة تماما .. لا أحد يهتم

بالتفاصيل في ( فانتازيا ) ..

المهم هو الجو العام ..

كان القطار يمشى بين الثلوج .. وثمة مرتفعات

جليدية شاهقة يتحرك عليها شخص ما ، يطارده شيء

مشعر عملاق .. تساءلت :

- ما هذا ؟

- أوه .. إنه عالم الثلوج - ثلوج ( إفريست ) أو

الثلوج القطبية لا يهم - حيث يمكنك أن تقابلي رجل

الثلوج ( الياى ) .. أو تعيش مع كابتن ( بيرد ) أو أى  
شئ آخر ..

وخرج القطار من هذا المكان الجليدى - غير البارد  
برغم هذا - إلى شاطئ بحر يتناثر رذاذ أمواجه كلما  
تحركت الرياح .. وعلى مرمى البصر كان شئ ما  
يتحرك ..

- هذا هو عالم البحار ، حيث تجديد القبطان  
( إشاب ) يبحث عن الحوت ( موبى ديك ) الذى التهم  
ساقه .. وتجدين العجوز يصارع البحر فى قاربه  
العتيق .. وتجدين سمكة القرش البيضاء العظيمة فى  
قصة ( الفك المفترس ) .. وعشرات من سفن القراصنة  
والباحثين عن كنوز تركها هؤلاء القراصنة ..

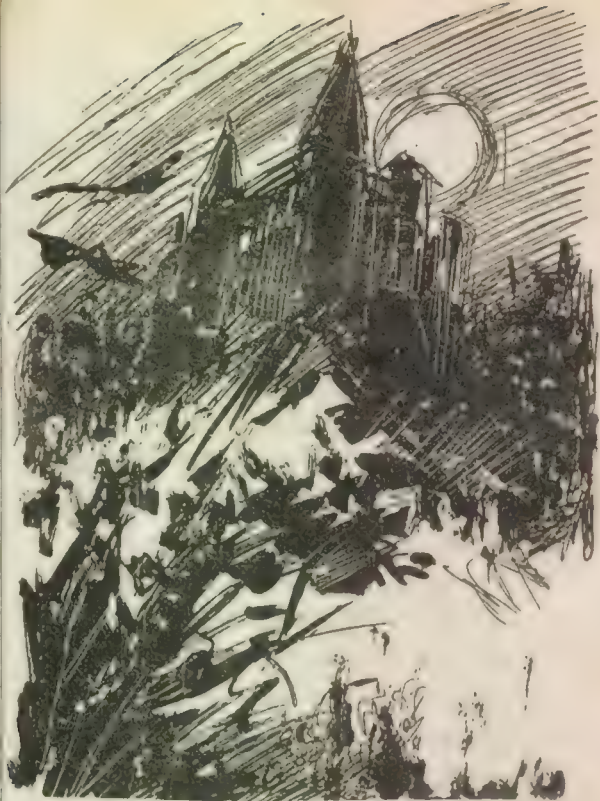
وداعب القلم بإصبعه .. تك .. تك .. تك ..!

- ما رأيك فى النزول هنا ؟

- أفضل الانتقال لاحتمال آخر ..

\* \* \*

ومن بعيد رأت غابات مظلمة تتلألأ أشجارها فى  
ضوء قمر خافت .. وفى نهاية ممر الأشجار ، رأت  
مرتفعات يبدو منها قصر كنيب المنظر .. جاثم كالوحش  
فى الظلام ..



وفي نهاية ممر الأشجار ، رأت مرتفعات يبدو منها قصر كتيب

المنظر



خيّل لها أنها تذكر هذا المكان حتماً هي رآته في  
الرحلة السابقة . فماذا كان ؟ .

سألت ( المرشد ) فاجابها وهو يبتسم :

- هذه هي ( ترانسفانيا ) في ( رومانيا ) .. وهذا هو  
قصر ( فلاد ) من ( والاشيا ) ..

- ( فلاد ) ؟ .. لا أذكر اننى قرأت شيئا كـ ...

- بل قرأت بالتأكيد لكنك نسيت .. ( فلاد الوالاشى )  
هو اسم من أسماء الكونت ( دراكيولا ) .. أعنى أنه  
الاسم الأصلي له قبل أن يدعوّه مواطنوه ( الشيطاني )  
أى ( دراكيولا ) باللغة الرومانية .

لا بد أنك قرأت هذه المعلومة يوماً ، وظلت في  
ذاكرتك .. وإلا ما كان ممكناً أن تضعيها في حلم ..

- « فهمت » ..

قالتها في انبهار .. وشرعت ترمق الجوّ الشبيه  
بكابوس ملون ..

كانت - ككل أصحاب الحيار المرهف - تحب أن  
تخاف .. تخاف في فاسها تحت الأغطية امنة من كل  
شر ..

لهذا لم تحوم كثيراً ..

وبهدوء قالت للمرشد :

- إذن أنزلنى هنا ..

- إن أحلامك أوامر يا جميلتى ..

قالها وشد حبلا صغيرا متدلّيا من السقف . فتوقف  
القطار بنعومة بين الغابات المظلمة .. وبرقة ساعدها  
على النزول .. ونزل خنفها .. ثم قادها بين الأشجار .  
إلى موضع عند قمة طريق مهده ..

- من هنا تبدأ مغامرتك ..

نظرت إلى بعيد وتساءلت :

- ولكن .. لا توجد مواصـ ...

ونظرت وراء كتفها لتجد ما توقعته .. لقد تلاشى  
( المرشد ) تماما .. تركها لتعيش مغامرتها كاملة دون  
توجيهات من جانبه ..

ولكن .. كيف تبدأ ؟ ...

وقفت ترمق الأفق بعض الوقت ..

ثمة ضوء يتحرك من بعيد .. يدنو بسرعة غير عادية  
منها ..

واقترب الضوء أكثر ، فأدركت أن هذه عربية  
مسافرين تجرها أربعة خيول .. والضوء ضوء  
مصباحين على جانبيها ..

العربة تتوقف على بعد خطوات منها .. والحوذى -

الذى يرتدى ثيابا مزركشة عجيبة - يتأمنها وهو يمست  
بزجاجة ..

ثم سمعته يسألها :

- إلى أين أنت ذاهبة يا فتاة ؟

فهمت كلماته كأنها اللغة العربية .. لكنها كانت تدرك  
كذلك أنه تحدث بالرومانية .. وقد اعتادت هذا على كل  
حال فلم تندم له .. كما أنها لم تندم حين جاء الرد  
حاضرا على شفيتها ..

- أنا ذاهبة إلى المرتفع ، حيث يقود الطريق إلى قلعة  
الكونت ..

حك الرجل رأسه .. بدا كأنما لا يجد ما يقوله .. ثم  
هتف :

- نحن ذاهبون إلى ( بوكوفينا ) .. وسنمر بالنقطة  
التي تريدينها ..

ولكن هل أنت حقاً راغبة فى ذلك ؟

كان محتما أن تقول نعم .. فلو لم تقلها لما كانت  
هناك مغامرة أصلا ..

وهى تعرف من القصة أن الجميع سينذرهما ويحاول  
دفعها للبقاء معهم ، والذهاب إلى ( بوكوفينا ) ..

- أنا أرغب فى ذلك !

- ابن اركبى ..

وصعدت ( عبير ) إلى داخل العربة المظلم ..

ولم يفتها - حين تأملت طرف ثوبها - أن تدرك أنها  
ترتدى ثيابا غريبة .. هى أقرب لثياب تلك الفرقة  
الشعبية المجرية . التى رأتها فى التلفزيون منذ  
شهرين .

وأدركت أن ( دى - جى - ٢ ) قد زودها بالثياب  
الملائمة للقصة كعهده دائما .. شكرا لك أيها الجهاز  
الأمين ..

شرعت تتأمل الجالسين حولها فى العربة .. بعض  
الرجال المتأنقين الذين بدا عليهم القلق لسبب لا تدريه ،  
وامرأتين ترخيان قبعتيهما على وجهيهما .. كان الظلام  
داخل العربة دامسا ، إلا من انعكاسات غامضة من  
المصباحين المعلقين بالخارج .. ولا صوت هناك سوى  
قرقرة حوافر الخيول فوق الأرض .. لكنها أدركت  
دون جهد أن كل من بالعربة يتأملها فى فضول ..

بعد وقت ليس بالقصير ، شعرت بالعربة تتوقف ..  
وسمعت الحوذى يصيح مناديا إياها :

- وصلنا يا فتاة .. هيا انزلى ..

غادرت ( عبير ) العربة .. واتجهت نحو السائق ..

كان في يدها الآن كيس نقود لم تدر من أين جاء ..  
لكنها مدت يدها فيه . تريد أن تنقذه أجرد .. لكنه  
صاح :

- لا أريد مالا .. فقط اذكرينا بالخير عند من أنت  
ذاهبة إليه ..

ورسم علامة الصليب على صدره . وأردف :  
- ولكن .. هل أنت حقاً غير راغبة في البقاء  
معنا .. ؟ بحق جميع القديسين أرجوك أن تفعلنى ..  
أذهبى إلى ( بوكوفينا ) معنا .. ليس لدى الكونت ما يثير  
شغف فتاة شابة مثلك ..

ثم بصق على الأرض وجرع جرعة من الزجاجة :  
- يا للشيطان ! إنه لخمير رديء .. هيا يا حلوتى ..  
تعلى معنا إلى حيث الأمان .. إن .....

وكف عن الكلام حين رأى العربة السوداء بجيادها  
السود واقفة فى الظلام . على بعد أمتار من عربته ..  
متى جاءت هذه العربة ؟ .. لم تلاحظ ( عبير ) ذلك  
١ . ولا السائق على ما يبدو ..

وسمعت صوتاً بارداً قاسياً يأتى من حوزى العربة  
الوداء :

- إنك بتكلم كثير يا . جل .. إن الانسة لعللى عجلة ..

لدى فيه انحدوى الاول بكلمة .. جذب أعنة خيوله .  
فانتطلقت عربته لا تلوى على شيء وذابت فى الظلام ..  
ونلمرة الأولى شعرت ( عبير ) بالرغبة ..

فشعريرة باردة تمشت فى عمودها الفقرى . حين  
لفت نفسها واقفة وحيدة بين هذه الغابات المظلمة .  
أمام تلك العربية السوداء - كعربات الجنائز - وسائقها  
الذى لم يتبين وجهه . لكنها لم ترغب فى ذلك قط ..  
مضى ينتهى هذا الحلم الغريب ؟ ..

للأسف لا توجد طريقة معينة لذلك .. ولن ينتهى إلا  
حين يوقف ( شريف ) عمل الجهاز . أو يرى ( المرشد )  
أنها نالت كفايتها من هذه المغامرة ..

تذكرت موقفاً مشابهاً فى طفولتها ، حين أخذها خالها  
الشاب الطائش إلى السينما .. جلس بجانبها بعض  
الوقت . ثم طلب منها أن تظل فى مكانها ولا تتحرك  
حتى يعود لها : لأن لديه شيئاً يجب أن يقوم به ..

وهكذا جلست فى السينما وحيدة - وهى طفلة فى  
السابعة من عمرها - تشاهد فيلماً فيه كثير من  
الخيول .. وطلقات الرصاص .. ورجال يحملون  
فئوساً .. و ...

فجأة لم تعد تريد المزيد .. تريد العودة لدارها .. لكن

كيف ؟.. لقد ذهب خالها ونعم يعد بعد .. هي لا تعرف  
كيف تغادر هذا المكان المروع .. هي وحيدة تماما  
والخلاص هو في يد خالها وحده ..

شعرت بأن هناك من خذلها .. خالها ..  
شرعت تبكي .. لكن البكاء لم يعدها لأمرها .. الكاء  
لم يمه الفيلم .. البكاء لم يحن بخالها ..  
لم يعد هذا الأخرق . إلا وقد أضينت الأنوار . وبدا  
الناس يغادرون السينما ...!..

الان فقط تتذكر هذا الموقف المقيت .. وترتجف .  
يجب أن تظل في مقعدها بلا حراك حتى يعود خالها  
هذه هي القاعدة ..  
لهذا - وفي تودة - اتجهت للعربة الواقفة كتكسوس  
بين الأشجار وركبتها ..

سمعت صوت السوط يهوى فوق أعناق الجياد .  
واندفعت العربة في رحلتها الرهيبة ..  
نحو قلعة الكونت ( دراكيولا ) ..

\* \* \*

## ٤- الكونت ..

اندفعت العربة بسرعة جنونية بين الأسجار ..  
وأحست ( عبير ) أن عظامها قد وضعت في خلاط  
أسمنت يحاول تحويلها إلى مستحلب دقيق ..  
حاولت أن تنادى الحوذى . لكن صوتها الرفيع  
الرقيق ضاع في ضوضاء حوافر الخيل وارتطام أجزاء  
العربة ببعضها ..

وسمعت من بعيد عواء الذئاب ..  
نعم .. هذا متوقع كما بالقصة الأصلية .. الذئاب  
العملاقة التي تطارد العربة . وتحيط بها طيلة الطريق  
إلى قلعة الكونت ..

\* \* \*

وعند بوابة القلعة العملاقة وقفت تنتظر ..  
صوت الذئاب العميق الطويل المفعم بالشجن يتردد  
من بعيد .. فيوشك قلبها أن ينخلع ..  
سمعت صوت خطوات .. ثم انفتح الباب ببطء عن  
رجل يمسك بشمعة في يده ..  
وتأمل : عبير / أثر اهتمام ..





ثم انفتح الباب ببطء عن رجل يمسك بشمعة في يده .

نقد قام كثيرون بأداء دور (دراكيولا) فى السينما .  
من هذه (لون شاتى) و (فنسنت برايسى) . مرورا  
بـ (كريستوفرلى) . و انتهاء بـ (توم كروز) .

لكنها لم تر سوى فيلم واحد من أفلام (دراكيولا) فى  
السينما . قام ببطولته (كريستوفرلى) - الذى لم تكن  
تعرف اسمه - لهذا ظل وجهه الوسيم المميز هو وجه  
(دراكيولا) بالنسبة لها ..

كان طبيعيا أن يكون هذا هو الوجه الذى ستراه  
الآن ..

هذه وسيم بادی الرقى .. متأنق .. فارع القامة ..  
اتقرب إلى الحزن فى عينيه .. أشيب الفودين .. يعانى  
نحوها فى الشعر على جانبي رأسه ..

وكان يرتدى عباءة سوداء مبطنة بالمخمل الأحمر ..  
ابتسم لها فى مودة . ودعاها إلى الدخول .. وحياتها  
الرومانسية الشهيرة :

.. أهلا بك فى دارى .. إليها تدخلين حرة ومنها  
.. ملين سالمة .. فقط بعد رحيلك أتركى لنا بعضا من  
كل هذه السعادة .. ثم صافحها بيد باردة معروفة .  
- أنا أكونت (دراكيولا) ..

كادت تولى الأدبار إذ سمعت عبارته الأخيرة .. ثم

قالت لنفسها إنه لا مبرر للذعر .. أنت تشهدين صدمه سينمانييا يا ( عبير ) . ومن المستحيل أن يؤذيك سر ما هنالك هو أنك جزء من هذا الفيلم .. ومن الحمسة .. تغادري دار السينما قبل انتهاء الفيلم ؛ لتجروا هذه جبانة أكثر من اللازم !

إلى الداخل دعاها .. إلى قاعة بها مدفأة ومائدة عليها أصناف عدة من الطعام الشهى .. فأجلسها عند طرف المائدة ..

واختار مقعدا جلس عليه أمامها .. وقال في رزانة :  
— كنت بانتظار موثق عقود يدعى ( جوناثان هاركر ) .. وهو انجليزى .. لكنه لم يأت ، وجئت أنت بدلا منه .. أعتقد أن العشاء سيكون من نصيبك

كانت تعرف أنها تمر الآن بكل ما كان ( هاركر ) سيمر به فى الرواية الأصلية التى كتبها ( ستوكر ) .  
تعرف أنها ستظل حبيسة قلعة الكونت لفترة زمنية طويلة ، ترى فيها أهوالا عدة .. ثم تعود إلى ( إنجلترا ) لتقابل خطيبتها ( لوسى ) ..

خطيبتها ؟ .. صعب هذا الجزء .. من المؤكد :  
( دى - جى - ٢ ) سيجد حلا آخر لأنه من المستحيل — على الأرجح — أن تكون لها خطيبة ..

\* \* \*

سألته وهى تلتهم الطعام :

- إذن أنت الكونت ( دراكيولا ) مصاص الدماء ؟

ابتسم فى رقة واعتدل فى جلسته :

- مرحبى .. أرى أنك تعرفين الكثير . وهذا يريحنى

من عناء التظاهر بالبراءة .. نعم أنا مصاص دماء ..

- هل حقًا يوجد مصاصو دماء ؟

هرش فى عنقه وغمغم :

- بالنسبة لى أنا ، يوجد قدر لا بأس به من الحقيقة .

فأنا بطل رومانى قديم . حارب الأتراك بضراوة .. كنت

أدعى ( فلاد ) .. واستطعت تحرير إقليم ( والاشيا ) من

قبضتهم تماما ..

صحيح أننى كنت قاسيا .. صحيح أننى كنت أضع

رءوس أعدائى على مائدة الإفطار : لأنعم بالموت فى

عيونهم .. لكنى لم أمتص دماء أحد .. إنها الأسطورة

التي أشاعها الناس عنى .. والاسم اللعين الذى ألصقوه

بى : ( الشيطانى ) .. وفى ( المجر ) أطلقوا على اسم

( نوسفيراتو ) .. أى ( الذى لا يفنى ) .. هى مجرد

سمعة سينة سرعان ما تحولت إلى أسطورة خالدة ...

لكننا الآن نعيش بمعطيات ومقاييس هذه الأسطورة ..

لهذا يمكنك أن تتأكدى من أننى مصاص دماء . أنام  
النهار فى تابوت . وأصحو ليلا لامتص دماء عابرى  
السبيل ..

تساءلت فى قلق :

- وهل تنوى امتصاص دمنى ؟

- أنا أرحب بدماء الحسنات مثلك دائما !

ظننته يمزح .. ثم تذكرت أنها فى ( فاتتازيا ) ..  
و ( عبير ) فى ( فاتتازيا ) تصير أكثر جمالا وأحد ذكاء  
بما لا يقاس ..

وهنا أردف الكونت :

- يمكننى أن أنهض الان وأكبل حركتك . وأمتص  
دماءك فوراً .. لكنى بذلك أنهى الأسطورة فى ثوان ..  
وأنا مكلف بأن أجعلك تعيشين مغامرة شيقة لا بأس  
بطولها .. هل فهمت ؟ .. لا بد من أحداث وإلا كان  
البرنامج مثيرا للإحباط ..

- إذن ماذا تنتوى ؟

- سأخذك إلى القبو وأقيدك هناك !

- وهل تظننى لن أقاوم ؟

ابتسم فى ثقة .. وأحست ( عبير ) بأن هناك بقعا ما  
على وجهه .. على الصورة كلها .. على العالم كله فى  
الواقع ..

كان ستارا من الشاش الطبي يغلف كل شيء من حولها .

وأدركت . أن وعيها ينسحب ببطء منها ..

وسمعت صوت الكونت :

.. أارجو ان تسامحيني على وضع مخدر فى طعامك ..

لأننا نطريقة المثلى لننقلك إلى هناك دون مقاومة ..

كيانها يذوب ببطء .. وعيها يتسرب .. إدراكها أنها

هى .. وفهمها لمعطيات الواقع .. كل هذا يتحول إلى

ضباب رمادى تراه يبتعد عن مرمى بصرها ..

إنها تغيب عن الـ ...

\* \* \*

الآن تصحو ( عبير ) فلا تجد أمام عينيها سوى

انظلام ..

نحة الرطوبة والعطن قادمة من لا مكان ..

الإنساس بأنها عاجزة عن الحركة تماما .. لكنها

واقفة .

ثمة شيء يجمع ذراعيها من التدلّى إلى جانبيها ..

شيء له برودة الفولاذ وصلابة الفولاذ وقسوة

الفولاذ ..

لا تحتاج إلى الضوء كي تدرك أنها مكبلة إلى الجدار

بسلاسل فولاذية فى وضع الوقوف ..

الان تعداد عيناها الظلام إلى حد ما .. فترى حدود  
الموجودات حولها ، مغلقة بلون رمادى شاحب ..  
إنه قبو - كما هو واضح - فسيح .. تزحف الرطوبة  
على جدرانه المتآكلة .. وفى كل أرجائه صناديق خشبية  
ضخمة ، بينما الفئران تلهو هنا وهناك .. اللعنة !..  
إنها لا تطيق الفئران ..

ابتلعت ريقها ورفعت عينيها لأعلى ، فرأت سقفا  
مدعما بالقوائم الخشبية المتآكلة . تتدلى منها خطاطيف  
كالتى يعلق الجزار عليها لحومه ... ثم .. توقفت عيناها  
على أشياء صغيرة متدلية هنا وهناك من أحد العروق  
الخشبية ..

فئران ؟ .. لا .. مستحيل أن تكون فئراننا ، وإلا فلماذا  
هى متدلية ورعوسها لأسفل ؟ .. وما سر هذا الغشاء  
الأسود المطبق على الجسد ؟

إنها أشياء أقرب إلى فئراننا مجنحة كبيرة الاذان .  
تتدلى متعلقة من أقدامها ..

وطاويط ! .. هذا واضح ولا يحتاج إلى أن تكون  
عبقريا ..

شعرت بقشعريرة تسرى فى عمودها الفقرى .. يبدو

انها كانت مخزنة حين اختارت هذا المكان بالذات ..  
وهذا الحلم بالذات ... إن كل ما فيه بشع قائم كنيب ..  
يبعث القشعريرة فى كل كياتها .. والخطأ خطوها  
ولا مرأ ..

فحينما قررت أن ترعب نفسها حتى الموت . كان  
عليها أن تتوقع وجود فئران ووطايط وأقبية مظلمة ..  
لأن قصص مصاصى الدماء لا تكتمل دون هذا كله ..  
ولكن .. ماذا عليها أن تنتظره الان ؟ .. إن الوقت  
يمضى ببطء شديد وذراعاها يؤلماتها إلى حد  
غير عادى ..

صوت صرير فى ركن القاعة ..  
بصعوبة تحاول أن تتبين ما هناك وسط الظلام ..  
خيل إليها أن غطاء صندوق من تلكم الصناديق الخشبية  
ينفتح ..

بالفعل هو كذلك ! .. الصندوق ليس سوى تابوت ..  
تابوت يرتفع غطاؤه ببطء شديد .. وهى ترى يدا تخرج  
منه تحاول عبثاً أن تمسك بشيء ما ..  
ثم .. انفتح صندوق ثان .. فتألت ..

ومن الصندوق الأول ترى ظلا ينهض .. ظلا له شعر  
منتثر كالنيران حول وجهه .. وترى الظل يمد ذراعيه



على امتدادهما .. وتسمع صوت فتاة متحشرجا مبوحا  
يقول وكأنه يتنأب :

- أخيرا جاء الليل واستعدنا قوانا !

ثم تراها تنهض من الصندوق .. مغلفة بالظلام .  
تنهض مترنحة وتمشى بضع خطوات نحوها !..  
الان تستطيع ( عبير ) أن تدرك كنه هذا ( الشيء ) ..  
فتاة هي .. شقراء مبعثرة الشعر .. يبدو أنها كانت  
على شيء من الحسن ، قبل أن تتحول إلى هذا المسخ  
الذي صارته ..

عيناها حمراوان كأقذاح الدم .. وفمها - المبهور  
الأنفاس - تنحدر على ركنه قطرات من الدم الجاف ..  
وبرغم الظلام الدامس ، أدركت ( عبير ) أن للفتاة  
نابيين أبيضين يلتزمان كنصال الخناجر ..

نحوها تمشى ببطء ، وهي تحرك أناملها أمام صدرها  
بأسلوب غريب ، ذكر ( عبير ) بعشرة من الثعابين  
ترحف في وقت واحد ، نحو فريسة مذعورة معدومة  
الحيلة ..

ومن طرف عيناها ، أدركت ( عبير ) أن فتيات  
أخريات يغادرن صناديقهن الان متجهات نحوها ..  
الان صار الموقف كالتالى :

( عبير ) مكبلة إلى الجدار عاجزة عن الحركة . بينما حولها تنتف ست من مصاصات الدماء . اللواتي غادرن صناديقهن .

- ( شريف ) ... أنقذنى ! .. أنه هذه القصة حالا !

صرخت وهى تحاول التملص من قيودها :

المفترض أن هذا المعتوه - ( شريف ) - يراها ويسمعها . ومن المفترض أن يدلى لها بتعليماته أو ينقذها .. هل يوجد وقت أجدر بذلك من هذه اللحظة؟ ..  
« لا داعى لدخول القلعة يا ( عبير ) .. هل تسمعين ؟ »

دوى هذا الصوت الهادئ فى أرجاء عقلها الباطن .. فدهشت لحظة . ثم أدركت أن هذا هو ( شريف ) يدلى بتعليماته لها كما وعد .. ولكن ما معنى أن يمنعها من دخول القلعة؟ .. لقد دخلتها بالفعل منذ ساعات أو أيام لا يعلم عددها إلا الله ( سبحانه وتعالى ) .. لماذا ينصحها الآن بذلك ؟

وهنا فهمت . أن ( شريف ) متأخر فى متابعة الأحداث : لأنه يعتمد على إبطاء الصورة .. وهكذا يراها الآن على شاشة الكمبيوتر . وهى مازالت واقفة أمام باب قلعة ( دراكيولا ) .. ولهذا ينصحها بعدم الدخول .

غير عانم - الأحمق - أنها دخلتها منذ زمن . وانها  
الان واقعة في شراك جيش من مصاصات الدماء !..  
قطعت تدفق خواطرها . حين أحسّت ان الفتاة الأوسى  
- الشقراء - قد دنت منها تماماً .. حتى أن ( عبير )  
لتشم ريح أنفاسها المقرز ..

أنفاس لها رائحة الموت .. وتسمع فحيحها الشبيه  
بفحيح الأفاعى ..

ورأت النابيين الحادين . تكشف عنهما شفتان  
متقرحتان ترسمان أوقح وأبشع ضحكة رأتها في  
حياتها ..

انتهى الأمر .. إن هي إلا ثوان حتى .....  
وفى اللحظة التالية ، رأت الفتاة ترتفع إلى أعلى ..  
ثم تطير في الهواء .. لتصطدم بالجدار .. فتسقط على  
الأرض متكومة تنن ..

رفعن عينيها لتجد الكونست ( دراكيولا ) بقامته  
الفارعة . يقف - وقد بدا عليه الغضب - ينظر إلى  
الفتيات ..

وصاح بصوت جهورى مدو :

- إن الفتاة ليست لكن !.. غدن الى توابيتكن الان !  
تراجعت الفتيات في خيبة أمل إلى النوراء . ككلاب

تبصيص بذبولها بعد أن طردها صاحبها من داره ..  
ودنا الكونت من ( عير ) . وقرب وجهه من  
وجهها ..

عناد الرماديتان شديداً التأثير في روحها .. لقد أنقذ  
حياتها .. ولكن لأنه يختص نفسه بمتعة امتصاص دمها ..  
كانت قد رأت أشياء عديدة من هذا النوع . في الفيلم  
اليتيم عن ( دراكيولا ) الذي رآته .. مصاصات الدماء  
اللاتى يستحوذ عليهن الكونت ( دراكيولا ) في قبوه .  
ماتعا إياهن من امتصاص دم ضحيته الأثيرة إلى  
نفسه .. وهى ستكون هذه الضحية . فأى شرف وأى  
فخار !

و .. أنفاسه تدنو من عنقها ..

وس .. ينهمس وهو يلف عباة حولها :

.. لا بأس .. تحتاج إلى توضيحات .. وهذه هى  
التوضيح الأولى !

حاولت أن تقاوم فلم تستطع ..

الوهن يزحف إلى أطرافها ..

النابان الحادان يغوصان في وريد رقبتها ..

ثم .. لا شيء .....

\* \* \*

## ٥- غير مينة .. !

( غير مينة ) .. هي كلمة تختلف كثيرا عن كنمة ( حية ) .. وليست مرادفا لها بحال .. مصاصو الدماء فقط يعرفون الفارق اللغوي الحساس بين اللفظتين .. و ( عبير ) لم تصر مصاصة دماء بعد .. لكنها وضعت قدمها بثبات على أول درجة من السلم الذي يقود إلى أن تصير ( غير مينة ) ..

\* \* \*

شمس حارقة تغمر جسدها وتحرق جفניה ..  
فتحت ببطء عينيها ، لترى آلاف الشمس مرتسمة  
على شبكتيها ..  
وبصعوبة تمكنت من أن تدرك أنها ممددة في  
العراء ، جوار شجرة غليظة الجذع .. وأن الريف  
الروماني باهر الجمال ، يمتد أمام عينيها إلى حيث  
حدود الأفق ..

رأت من بعيد مجموعة من الرجال والنساء ، في  
ثياب غريبة مزركشة ، يركضون بعض عربات تجرها  
الخيول ، وبعضهم راجل .. كثير منهم كان يربط رأسه



رأت من بعيد مجموعة من الرجال والنساء ، في ثياب غريبة مزركشة ،  
يركبون بعض عربات تجرها الخيول ..

بعضابة مرقطة .. وبعضهم يحمل كمانا صغيرا ..  
هرعت - مترنحة - إلى قافلتهم .. فتوقف بعضهم  
يرمقها فى فضول ودهشة .. ودنا منها عجوز كثر  
الشاربين . له عين عوراء ليسائها :  
- من أين جنت يا فتاة ؟

- من أنتم ؟  
ضحك ضحكة مجلجلة سرعان ما استحالت إلى سعال  
يهتز به صدر الشيخ .. كأنما هو صندوق يحوى دسنة  
من البلى ..

- ها ها ها اااا .. ها ها كح كح كح !.. إنك  
- ولا شك - غريبة يا فتاة حتى تجهلى غجر  
( التسجاني ) .. ملوك غابات روماتيا وسادة سهولها ..  
كح كح !

ورأت شاباً أسمر مفتول العضلات . له شاربان  
عملاقان يدنو منها .. كانت ملامحه تعكس شراسة  
غير عادية .. وسألها :

- من أين جنت ؟.. هلا أجبت السؤال ؟  
تراجعت بظهرها خطوة للوراء إزاء مسلكه  
العدواني ..  
وفى وجل قالت :

- من .. قلعة الكونت !

- كونت ( دراكيولا ) ؟

- نعم ..

خرجت سيدة تربط راسها بعصابة حمراء من وسط  
الجمع . وعلى كتفها رضيع غاف .. كانت حافية  
القدمين متمرة تماما ..

- واحدة أخرى منهم ! .. هلم يا ( فيتور ) دعها  
وشأنها .. دعنا نواصل رحلتنا قبل أن يحل الظلام ونحن  
في هذه الأرض المشنومة ..

عم تتحدث هذه المرأة ؟ .. واحدة من من ؟ ..

كل ما تعرفه ( عيبر ) هو أنها كانت عند  
( دراكيولا ) . وأنه كان على وشك امتصاص دمها . ثم  
من الواضح أنها نقلت إلى هذا المكان وهي فاقدة  
الوعي ..

لهذا هتفت في الحاح :

- عم تتحدثون ؟ .. ماذا قد حدث لى ؟ .. أرجوكم أن

تتكنموا !

في الحاح أعنف صاحبت المرأة .

- هم يا ( فيتور ) وأنت يا ( دراجوزانى ) .. إننا الآن

نسير في املاك الكونت .. ومعنى هذا ...



أوقفها 'العجوز' بإشارة حاسمة من يده . وفهمت  
( عبير ) أنه هو قائد هذه المجموعة من العجور ..  
وبالتأكيد اسمه ( دراجوزانى ) . اما الفتى حاد الطباع  
فهو ( فيتور ) ..

قال العجوز بنهجة من لا يقبل النقاش :

- سنصحبها معنا الى ( بوكوفينا ) ..

- ولكن ..

- إن البانسة لا تعرف ما حل بها .. لربما كان  
خلاصها ممكنا ..

وهكذا .. وجدت ( عبير ) نفسها جانسة فى عربة  
مسافرين . تهتز بها أماما وخلفا .. ويمينا ويسارا ..  
بينما القافلة تمضى إلى وجهتها فى ( بوكوفينا ) ..

\* \* \*

هل تحبين موسيقا ( البلايكا ) ؟

سألها ذلك الشاب الشرس . وهو جالس جوارها فى  
الجزء الخلفى من العربة . ودون أن ينتظر جوابها .  
رفع إلى ذقنه آلة وترية تشبه الكمان الا انها على شكل  
مثث .. ومد قدمه التى يغطيها حذاء ذو رقبة : ليريحها  
على المسند الخشبي امامه . وأراح هذه ( البلايكا )  
ما بين ذقنه وعنقه .. ثم شرع يحرك القوس على الأوتار

بسرعة لاتصدق . فتبعث الحانها غاية فى المرح  
والانطلاق ..

وسمعت العجوز الذى يقود العربى من خلف مقعده  
( يندبن ) نغمات تتماشى مع هذه الألحان الرشيقة .  
بصوت أجش مبجوح ..

وكذا تمضى العربات ببسطء خارجة من أرض  
( دراكيولا ) ..

( عبير ) .. لا تشربى ولا تأكلى شيئا .. يخيل لى أن  
الكونت ( دراكيولا ) قد دس لك مخدرا ما ..!

هكذا دوى صوت ( شريف ) فى ذهنها . عليك  
اللغة !.. تذرني بعد خراب ( مالطة ) كما يقولون ..  
أعتقد يا ( شريف ) أن معاونتك الصوتية لن تكون ذات  
نفع لى .. كل تعليماتك تجيء بعد قوات الألوان .. فلربما  
كان الأفضل لك ولى لو التزمت الصمت ..

\* \* \*

كان ( فيتور ) مرحا .. برغم حدة طباعه الواضحة .  
وسرعة ثورته . وجدته ( عبير ) رفيق سفر طيبا ..  
سألته عن سر خوف الفجر منها .. فقال :

- إنهم وجدوك غافية فى املاك ( دراكيولا ) .. ونحن  
لانعرف عن هذا الكونت سوى أنه يسمح لنا بالمرور

فى أرضه .. لكن الأسرار السريرة تحوم حول هذه القلعة .. أشياء ملعونة تحدث من حين لآخر .. أحيانا يجدون عابرى سبيل راقدين على الأرض . وليس فى عروقهم قطرة دم واحدة .. أطفالنا يختفون ليلا ولا نجدهم ثانية .. لهذا نحرص على عبور هذه الضياع بسرعة وفى ضوء النهار . ونحافظ على أطفالنا ..

- هل تعنى أنها قلعة مصاصى دماء ؟

- أعنى ذلك وأكثر ..

ثم تلفت حوله كمن يخشى أن يسمعه أحد .. وقال :

- يقولون إن هناك عالما موازيا لنا ، هو عالم مصاصى الدماء .. توجد ثغرة أو ممر .. بين ذلك العالم وعالمنا .. وهذه الثغرة تقع فى ( والاشيا ) أو ( تراسلفانيا ) (\*) ..

ومن حين لآخر ينجح مصاص دماء فى اجتياز هذه الثغرة : ليجد نفسه فى عالمنا .. ربما كان هناك شيء من الصدق فى هذا وإلا لماذا يزخر هذا البلد بأساطير مصاصى الدماء ؟

---

(\*) مقولة شهيرة بالفعل

قضمت ( عبير ) قضة من الأجاصة التى أعطاها  
إياها... وتساءلت :

- وهل تعرف شيئا عنهم ؟

بصق على الأرض من فوق حاجز العربة .. وقال :  
- كل الغجر يعرفون الكثير عن مصاصى الدماء ..  
غير الموتى .. فى النهار ينامون فى تابوت . ويخرجون  
ليلا بحثا عن فريسة مناسبة .. إنهم لا يطيقون الشمس  
ولا الصلوات ولا الماء المقدس ولا رائحة الثوم ..  
نظرت ( عبير ) إلى حزم الثوم المعلقة على جوانب  
العربة ، ولم تر داعيا لمزيد من الأسئلة عن سبب  
وجودها هناك ..

\* \* \*

وجاء الليل ..

توقفت القافلة لقضاء ليلتها فى هذا المكان ، الذى هو  
عبارة عن مساحة خالية من الأشجار قريبة من قرية  
( هالماجيو ) ..

أوقدوا النيران وجلسوا يلتهمون العشاء .. بينما  
جلس عدد منهم يعزفون على الكمان بألحان مجنونة ،  
تصاحبها دقات على الدفوف ..

والفتيات بتنوراتهن المزركشات يرقصن حول  
الجالسين ..

أشار العجوز نحو جبل بعيد وقال لـ ( عبير ) :  
- هذا هو جبل ( زاراندولى ) يا فتاة .. هيه !.. هل  
تحسنين الرقص ؟ .. غريب هذا !.. إن قدميك  
الصغيرتين خلقتا كي تنقليهما فوق الأرض على انغام  
( البلايكا ) .. وأنت يا ( دمتريو ) أيها الفتى الشجاع ..  
قل لأولئك النسوة ألا يذهبن بعيدا .. إن هذا الإقليم يعج  
بالمذعوبين . والقمر الليلة بدر مكتمل ..

مذعوبين ؟ .. بدر ؟ ..

ما هذا الكلام الغريب ؟

تذكرت أنها حين رحلت كانت بداية الشهر العربى ..  
وما زال هناك أسبوعان على اكتمال القمر ..  
ثم ما دخل المذعوبين فى الموضوع بالضبط ؟  
وهنا فقط عادت تتذكر أن كل هذا حلم ..

إن ( دى - جى - ٢ ) يحاول أن يقدم لها كل ما تريد  
من تسلية فى مرة واحدة .. مصاص دماء ، ومذعوب .  
ورحلات مع الفجر . و .. و .. ولا بأس من أن يصير  
القمر بدرا فى غير مواعده : لمجرد أن تكون هناك  
فرصة لمزيد من الإثارة ..

ذكرها هذا بمنطق الأفلام الهولندية : ثلاث ساعات  
من الغناء والرقص . والحب . والجريمة . والعنف .

والمطاردات البوليسية . وأزمات العواطف .. حتى  
لا يفلت مشاهد واحد - مهما كان ذوقه - من دائرة  
الفيلم ..

إن ( دى - جى - ٢ ) يتصرف بذات المنطق إذن ..

سألت العجوز على سبيل الثرثرة لا أكثر :

- وماذا جاء بالمدعوبين هنا ؟

سعل الرجل وبصق فى النيران .. وأعاد حشو

غليونه الطويل بالطباق .. وقال :

- مدعوبين ؟ .. يا للشيطان ! .. إن ( روماتيا ) تعج

بهم أكثر مما يعج البحر بالأسماك .. رجال كثيرون

يا فتاة ، يتحولون إلى ذناب حين يكتمل القمر .. لا أعنى

بذلك المعنى المجازى .. فلتأخذنى داهية إن كنت أعنى

ذلك .. كل الرجال ذناب هذا حق .. ولكن ..

انظرى ! .. هناك رجال يصيرون ذنابا حقيقية .. ذنابا

لها مخالب وأنياب .. هاك .. إن كنت لاتعرفين ..

- فهمت ..

وجلست تتأمل النار المتراقصة ، وتقاوم القشعريرة

الزاحفة على طول عمودها الفقرى ..

\* \* \*

حين نامت مع النساء فى مؤخرة العربات : كان

الرجال يفترشون الكلاء .. وقد ظل أحدهم ساعدا يحرس القافلة ..

من الغريب أنها كانت تحلم وهي غافية بحياتها الأخرى .. بالمدرسة .. بالزقاق .. بعملها في مكتب ألعاب الكمبيوتر ..

هذا منطقي - خطر لها وهي نائمة - ان تحلم في أثناء الحلم بالواقع ...!.. كما أن نفى النفي إثبات .. خيل إليها أنها تسمع صوتا ما جوار رأسها .. صوتا هو أقرب إلى مخالب تخدش جانب العربة .. صوت لهاث .. وزئير مكتوم ..

وثب قلبها إلى فيها . ومدت يدا متوترة تهز ( ناديا ) الفتاة العجرية النائمة جوارها .. وشعرت بها تتحرك في الظلام متسائلة :

- ماذا هناك ؟

- هل تسمعين ؟

أصاحت الفتاة السمع بضع ثوان .. ثم هتفت .

- وحق ( مريم ) العذراء .. إنه لصوت المذعوب !

وقبل أن تسألها ( عبير ) عما ستفعلاته فوجئت

- وبأقى النسوة - بجانب العربة القماشى يتمزق ..

وفى ضوء القمر الفضى برز خيال عملاق .. شيء

ضخم اشعث خيل له ( عبير ) انه انسان يرتدى قناع  
ذنب .. ثم أدركت فى هلع أن هذا هو شكل رأسه  
الحقيقى .. !

هو ذا يعتلى جانب العربة . متشبثا بالقماش  
الممزق .. يدرس رأسه فى الفتحة . فننعم رائحة انفاسه  
الكريهة صدور النساء ..

ثم - بعينين متقدتين فى الظلام - يكمل وثبته إلى  
الداخل .. ويصدر زئيرا منتصرا ..

حتى هذه اللحظة . لم تتبين ( عبير ) وجهه فى  
الظلام . لكنها ترى ( السيلويت ) المميز له . وبريق  
عينيه وقطرات اللعاب اللامعة إذ تتساقط من فيه ..  
وفى اللحظة التالية . كانت النسوة يصرخن - كأنما  
هناك من ينتزع عيونهن - ويثبن من العربة واحدة تلو  
الأخرى ..

للأسف ليست ( عبير ) بهذه الخفة . وليست ممهدة  
لقفزات بطولية كهذه . هى حتى لا تجد فن الصراخ ..  
ها هى ذى إذن على أرضية العربة جاثية على  
ركبتيها . تحاول أن تقول أو تفعل شيئا .. بينما ذلك  
المسخ يقف عند رأسها . فاتحا ذراعيه ومخالبه  
كمروحتين . اتيا بحركات غريبة أشبه بوحش يتلمظ ..





هو ذا يعتلى جانب العروة ، متشبهاً بالقماش الممزق .. يدمر رأسه  
فى الفتحة ، فتضعم رائحة أنفاسه الكريهة صدور النساء ..

إنها النهاية إذن ..

دنا منها المذعوب أكثر .. فأكثر ..

وفجأة رأت جسده كله يرتجف ..

فى اللحظة التالية . اطلق عواء حزينا طويلا . كعواء

ذئب جريح . تم استدار .. ووثب من مؤخرة العربّة

مطلقا ساقيه لتريح ..

سمعت جنبّة .. وصوت طلقات رصاص من بنادق

العجر البدائية ..

وحين نجحت أخيرا فى أن تزحف إلى مؤخرة

العربّة . وجدت قافلة العجر كلها تقريبا . تحمل

المشاعل وتطارد المذعوب بين الأشجار .. بقعة لهب

تغوص فى بحر الظلام ..

فقط كان هناك شيء ما ملقى على الأرض .. وجواره

ركع العجوز زعيم المجموعة يربت عليه وينتحب ..

دنت أكثر لترى ما هنالك . فأدركت أن الشيء هو

جثة ممزقة منوثة بالدماء .. طبعا جثة العجورى الذى

سهر يحرس القافلة فى أثناء نومها .. لقد بدأ المذعوب

به ..

كان العجوز يولول مرددا دون كلل :

- ابنى ( ديمتريو ) .. كان جميل الصورة .. كان

جميلاً سليم الجسد كمزمار .. أنظري إلام صار !  
ورفع عينه نحوها .. وفوجئت به يقول :  
- لقد كنت شؤماً علينا .. حتى المذعوب رأى وصمة  
( دراكيولا ) على جسدك ، وخاف أن يلمسك ! .. ألم  
تفهمي هذا بعد ؟ ! ..

.....

★ ★ ★

## ٦- البارون ..

فى هذه المرة تمشى ( عبير ) إلى ( بوكوفينا ) قاصدة  
لا مكان ..

لقد تخلص منها الفجر : لأنهم صاروا مؤمنين بأنها  
شوم على رحلتهم ..

وبكل إلحاح توسلت إليهم أن يسمحوا لها بقضاء الليل  
معهم ، فسمحوا لها على أن تفارقهم عندما يبرز فجر ..  
والآن تمشين يا ( عبير ) تحت الشمس الحارقة ،  
مقتفية آثار العجلات على الأرض القرابية ..  
لماذا ( بوكوفينا ) بالذات ؟

لا تدريين .. أنت لا تعرفين اسم مدينة واحدة فى  
( رومانيا ) سوى ( بوخارست ) التى تبدو بعيدة جداً ..  
لهذا تقصدين أول مدينه تعرفين اسمها ..

لكن الطريق طويل .. والحر شديد .. والظمأ منهك ..  
فمن الطبيعى ان تسقطى فاقده الوعى ..

\* \* \*

« اهربى يا ( عبير ) !.. المذعوب يحاول القحام  
العربة ! »

أفاق من إغماءتها . على صوت ( شريف ) يتردد  
 فى ذهنها كالعادة بعد فوات الأوان .. أو كما يقول  
 التعبير العامى ( بعد الهنا بسة ) .  
 فابتسمت فى إنهاك . وفتحت عينيها  
 كانت فى فراش نظيف مريح ..  
 النافذة مغطاة بستائر من المخمل مزركشة .. وإلى  
 جوار الفراش شمعدان صغير على ( كومود ) خشبى ..  
 وكانت ترتدى قميص نوم حريرياً سابغاً ..  
 أدركت كل هذا بعد ثائيتين من التأمل السريع ..  
 والاهم ، هو أنها أدركت أن رجلاً أشيب الشعر يجلس  
 جوار فراشها ، يحدجها بنظرة هى للحنان أقرب ..  
 أصابها الهلع وغطت كتفها بالملاءة ، فلم يسبق أن  
 رآها رجل بقميص النوم حتى فى الخيال ..  
 لكن شيئاً ما فى مظهره جعلها تدرك أنه طبيب .  
 هاتان العينان المنهكتان ، اللتان لم يعد يثير  
 دهشتها شيء . والابتسامة لحزينة الساحبه ..  
 والتجاعيد على ركنى الفم .. والمنظار المتدلى على  
 قصبة الأنف ..  
 لا يمكن - ولا يجوز - لصاحب هذه الملامح أن يكون  
 شيئاً سوى طبيب ..

كانت تحاول ألا تكون تقليدية مملة ، لكنها لم  
تستطع ..

السؤال الخالد يتردد على شفثيها :

- أين أنا ؟

- أنت في خان بـ ( جالاتز ) على نهر ( الدانوب ) ..  
وكان صوته حين تكلم رخيما رقيقا .. ولم تكن  
( عبير ) تفقه حرفا من أية لغة أجنبية .. لكنها أدركت  
أن الرجل يتحدث الألمانية بلهجة أجنبية إلى حد ما ..  
وبالطبع وجدت نفسها تفهم الألمانية وتتكلمها بطلاقة ..  
سألته وهي تفرك عينيها :

- ومن أنت ؟

- طبيب هولندي .. البارون ( فان هلمنج ) ؟  
وابتسم كأنما يأمل أن يفكرها الاسم بشيء .. لكن  
سدى ..

- هولندي ؟ .. وماذا جاء بك إلى ( رومانيا ) ؟  
- تتسبن دوما يا ملاكى أنك فى ( فاتنازيا ) .. ولو أن  
المغامرة تحتاج إلى خبير فى علوم الذرة من  
( الإسكيمو ) ، لوجدته أمامك قبل أن يرتد إليك طرفك ..  
ثم هز رأسه باسم فى ثقة :

- أنا أستاذ فى جامعة ( أمستردام ) ..

- وماذا جاء بى هاهنا ؟

- كنت ماشيا فى الطريق حين وجدتك ملقاة هناك  
فأقده الرشد .. وتعاونت مع بعض الفلاحين الرومانيين  
حتى وضعناك على عربة حرث ، وجئنا بك هاهنا ..  
إننى أقيم فى ذات الخان .. واعتقد ان الإقلمة به  
تنفعيك ..

- لكن نقودى ...

- أوه !.. حاولى أن تنسى ذلك يا فتاتى ..  
وفوجئت به يرفع الملاءة لتغطى ذقتها .. ثم يقول فى  
حنان وهو ينهض :  
- أعتقد أنك بحاجة إلى مزيد من النوم لتستعيدى  
قواك ..

وفى الصباح نتحدث عن موضوع معين ..  
وهكذا وجدت ( عبير ) نفسها راقدة فى الغرفة  
وحدها ..

\* \* \*

ضوء القمر يغمر الغرفة قادما - فى حياء - من خلف  
الستائر .. و ( عبير ) راقدة فى عالم آخر من الأحلام ،  
التي لا ندرى كنهها فى الواقع .. صدرها يعلو ويهبط ..  
بينما ذراعها مثنية إلى أسفل الوسادة .. والذراع

الأخرى معددة جوار جسدها فى استرخاء ..  
يمكننا ان نزعج ان الوقت يدنو من الثالثة بعد  
منتصف الليل ..

لكن . ترى لماذا تتقلب ( عبير ) بهذه الكثرة ؟  
لماذا تحرك رأسها ذات اليمين وذات اليسار ؟  
وما هو الحلم الذى آراد ويجعلها قلقة إلى هذا الحد ؟

\* \* \*

البارون ( فان هلسنج ) جالس فى قاعة الجلوس  
بالخان ، يحسو قدحا من " شراب " زهرث مع صاحب  
الخان البدين ( مرن " يسكو ) ..

يقول صاحب الخان للبارون :

— تبدو قلقا يا سيدى ..

فيقول ( فان هلسنج ) وهو يشعل غليونيه :

— الواقع .. نعم يا ( ميخائيل ) .. هذه الفتاة

تحيرنى .

— ولماذا ؟

ثم يبتسم فى وقاحة ويضيف :

— اه ! .. ربما هو الحب يا بارون .. إننى أفضل

البدينات ..

— لا ترفع الكلفة يا صديقى .. إن هذا قد يكلفك



الكثير .. ما أريد قوله هو أن أسراراً ما تحيط بها ..  
مثلاً أجدّها بطريق الصدفة مغشياً عليها فى الطريق .  
ولا أعرف تفسير هذا .. ثم أجد هذا الجرح غريب الشكل  
فى رقبتها .. هنا ..

ومد إصبعاً يشير به إلى جذور عنقه .. حيث  
الشريان السباتى ..

فأستع عينا صاحب الخان فهما . وهتف .  
- أوه !.. أرى ما ترمى إليه .. وحق انعذراء المقدسة  
أنا أرى ما ترمى إليه ..  
فى برود غمغم البارون وهو يدق غليونه فوق طبقه  
ليفرغه :

- أما أنا فلا أفهم شيئا على الإطلاق ..  
- أوه يا بارون .. أنت فى ( رومانيا ) .. و ( رومانيا )  
تختلف عن ( هولندا ) كثيراً ..

\* \* \*

بالفعل ( رومانيا ) تختلف عن ( هولندا ) كثيراً .. بل  
تختلف عن أى بلد أوروبى آخر ..  
قل لى ، فى أى بلد أوروبى تحلق الوطاويط وراء  
النوافذ المغلقة ، ضاربة الزجاج بأجنحتها كأنما  
تنادى ؟....

هو ذا وطواط صغير يحلق خارج النافذة مرارا  
وتكرارا .. ثم ..

( عبير ) تزداد قلقا فى نومها ..  
زجاج النافذة يتحول إلى قطع دقيقة . تتساقط واحدة  
تلو الأخرى .. والرياح تفتح الغرفة كأنما كانت تنتظر  
هذه اللحظة ..

الستائر تتطاير داخل فراغ الغرفة متراقصة ..  
والغيوم تتكاثف أمام صفحة القمر ، رمادية ..  
كنية .. غامضة ..

\* \* \*

رشف البارون جرعة أخرى من شرابه .. وتساءل :  
— أنت — إذن — تتحدث عن مصاصى النماء  
يا ( ميخائيل ) ..

— حتما يا بارون .. أنت رجل متعلم وكثير الأسفار ..  
ولا تخفى عليك أشياء كهذه .. إن ( روماتيا ) تعج  
بهم ..

ضيق البارون عينيه . وراح يتأمل النيران المشتعلة  
فى المدفأة . وظلالها تتراقص على جدران الخان الذى  
لم يعد به أحد ساهرا سوى اثنين من المخبولين ..  
نعم هو يعرف أشياء كهذه ..

يعرفها جيدا وأكثر من غيره ..  
كان ذلك منذ أعوام .. حين رأى صراع أبيه  
البروفسور ( إيجور ) مع مصاص الدماء العجوز  
( هاتسن ) .. كان واقفا فوق سور الكنيسة . يراقب  
المشهد المروع فى الظلام ..

يرى أباه ملتحما بين الأشجار .. يحاول أن يفرس  
الوتد الخشبى فى صدر مصاص الدماء .. كان يسمع  
لهاث الرجلين .. أحدهما كان لهاث أبيه الملهوف  
المذعور .. والاخر لهاث مصاص الدماء الحيوانى  
الوحشى الملىء بالشهوة وحب الشر ..

كان يصرخ .. يتمنى أن يستطيع النزول من مكانه ،  
لكنه - بعجز طفل فى العاشرة من عمره - لم يستطع  
سوى أن يضرب القرميد بمجمع قبضته .. ويضغط على  
أسنانه أكثر ..

ثم سمع الحشرجة ..  
رهيبة كانت .. مروعة كانت ..  
وفى الظلام رأى شبحا ينهض مترنحا .. ويتحرك  
مبتعدا ..

عرف على الفور أن هذا الشبح لم يكن أباه . وإلا  
عاد كى ينزله من برج الكنيسة ..

عرف أن أباه صار جثة فارغة من الدماء . تحلق  
فى السماء بعين خاوية من الفهم . . وعرف أن  
( هاتمن ) قد عاد يواصل رحلته الشريرة . بحثاً عن  
الرعب والهلاك ..

لقد وقعت مسنولية قتل مصاص الدماء على عاتق  
الطفل ذى العشر السنوات .. وقد عرف كيف يقوم بها  
خير قيام فى ذات يوم بعد عشر سنوات أخرى ..

\* \* \*

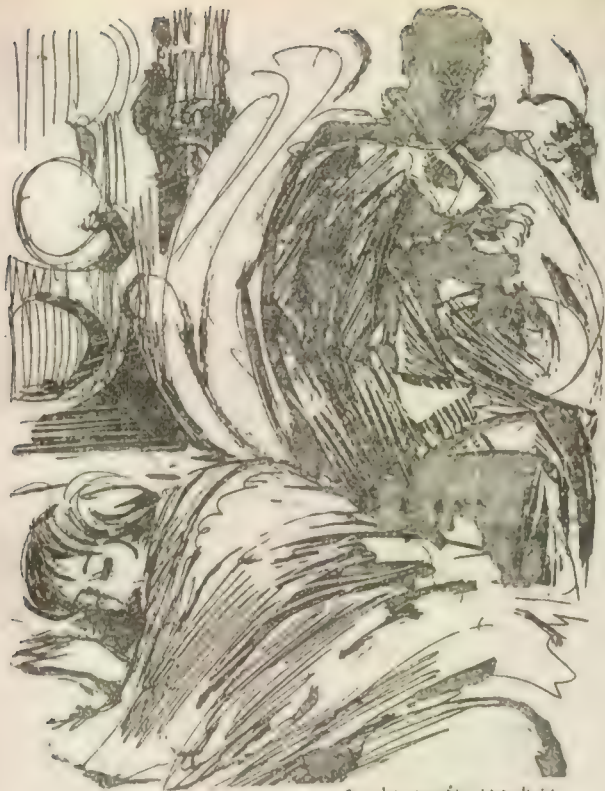
لقد دخل الوطواط غرفة ( عبير ) الان ..  
راح يحوم حول وجهها عدة دورات متصلة .. ثم ..  
ما هذا الدخان الذى يتكاثف حول هذا الحيوان الثديى  
المقيت؟! ..

إن الدخان يملأ هواء الحجرة ..  
ثم ببطء ينقشع كاشفاً عن ( سلويت ) رجل ..  
رجل فارغ القامة . يرتدى حرملة طويلة ترفرف  
- كجناحي وطواط - فى الريح الغضبية التى تتسلل إلى  
المكان ...

هو ذا يدنو من الفراش . ببطء ..

\* \* \*

ومنذ ذلك اليوم قتل العديد منهم ..



إن الدخان يملأ هواء الحجرة ..

ثم يبطء ينقشع كاشفاً عن ( سلويت ) رجل .. رجل فارغ القامة .

الوتد ، وقطع الرأس بالفأس ، ثم الصلاة ..

طقوس مارسها مراراً ..

وفي كل مرة يرى وجه أبيه يبتسم .. ويغمغم :

- لا تأخذك بهم شفقة أى بنى !

ويشعر الرجل بالرضا .. ويواصل بحثه الذى

لا ينتهى عنهم .. ولهذا جاء الى ( رومانيا ) ؛ لأنه

يعرف - أكثر من سواء - ما تحويه ( رومانيا ) .. خاصة

ذلك المسخ الذى يسمونه ( فلاد الوالامى ) ..

يقول صاحب الخان البدین وهو يجفف عرقه :

- إنن فهذا سرّ قلّك يا بارون ؟

الواقع أن هذا ليس السبب الوحيد ..

إن تعامل ( فان هلسنج ) مع مصاصى الدماء ، قد

جعله يكتسب نوعاً ما من الحاسة السادسة تجاه وجودهم .

واليوم هو يشعر بقرب واحد منهم .. يشعر به تحت

جلده ..

ولكن لماذا ؟ ...

\* \* \*

حين فتحت ( عبير ) عينيها ، كانت أنفاس الكونت

( براكيولا ) تلفح عنقها . أنفاسه الباردة التى لها

رائحة الموت ..

لم تكذ تتساءل عن الكيفية التي جاء بها : لأنها  
شعرت بوخزة النابين الحادين يغوصان في وريدها  
الودجى ..

قاومت لحظة . ثم خارت قواها واستسلمت  
لما سيكون ..

وفى هذه اللحظة انفتح الباب فجأة ..  
ودخل البارون ( فان هلسنج ) ..

\* \* \*

## ٧- التّصوّل ..

- تحية يا بارون !

هتف (دراكيولا) بهذه العبارة بلهجة من يرى صديقاً قديماً طال اشتياقه إليه .. ونهض من جوار الفراش ليواجه (فان هلمنج) .

ورأى الأخير خيط الدم ينساب على ذقنه ، فأدرك ما كان نون جهد ..

- الكونت (دراكيولا) !

قالها بصوت كالضحك وهو يتراجع بظهره خطوتين ..

غمغم الكونت وهو يتقدّم نحوه لاهثاً ، كأنما كان يركض في سباق طويل . ( إن مصّ الدماء منهك كما هو واضح ) :

- هو بعينه !.. يا له من زمن !.. منذ حاولت قتلى في تلك الليلة فوق ثلوج الترانسفال .. لقد نجوت منك بصعوبة فقط لأغدو أكثر بأساً وأكثر لياقة ..

- إن قتل مصاصي الدماء هو مهنتي ..

- لقد صار وقت تقاعذك دانيًا يا بلرون ..



وفتح فاه عن آخره . كاشفا عن صفيين بشعين من  
الأسنان الحادة كأسنان الضواري .. ومن حلقه صدر  
فحيح مكتوم ..

تراجع ( فان هلسنج ) إلى الوراء .. ومذ يده إلى  
جيب سترته . فتناول مسدسا صغيرا عتيقا صوبه نحو  
الكونت ..

- هذا المسدس محشو يا كونت ..

- وهل حسبت لحظة أننى ... ؟

- إته محشو بالرصاص الفضى كما تعلم ، وكما لك

أن تتوقع ..

- وأنت واثق من مفعوله معى ؟

- إذا كان كافيا لقتل المذعوبين ، فلم لا يصلح

معك .. ؟

- لا تصدق كل ما تقرأه يا بارون ..

وابتسم ابتسامة وقحة كريهة ..

وحين فتحت ( عبير ) عينيها المنهكتين ، كان جسدها

أقرب إلى خرقة تم تلميع زجاج نافذة بها .. وشعرت

أنها لا تتحكم فى أصفر عضلة من عضلاتها ..

لكنها تغلبت على وهنها : لتتمكن من متابعة هذه

المحادثة العجيبة . التى هى أقرب لحديث سيدين

مذهبين . منها إلى مواجهة بين مصاص دماء وقاتل  
مصاصى دماء ..

خطر لها - برغم تشوش ذهنها - أن مصاصى الدماء  
فى القصص ، يكونون أننى إلى الرقى وأساليب السادة  
المذهبين من المذعوبين مثلا .. إن أحدا من الأخيرين لم  
ينل شرف أن يلقب بـ ( كونت ) مثلا .. كلهم أشخاص  
من الحثالة أو من حضيض السلم الطبقي ..

كان ( دراكيولا ) فى هذه اللحظة يقول لـ ( فان  
هلستج ) :

- سأتركك الآن يا كونت تتساعل عن فعالية سلاحك  
هذا .. ولكن حذار !.. إن اللقاء القادم لا يحتمل  
أخطاء !!

وقبل أن يرد البارون ، كان ( دراكيولا ) قد تلاشى  
وسط سحابة من دخان أزرق مريب الشكل ..  
هل ترون هذا الوطواط الصغير الذى يرفرف خارجا  
من النافذة المهشمة ؟.. أراهن على أنه هو ( دراكيولا )  
نفسه !

وهنا سمعت ( عبير ) فى أروقة ذهنها صوت  
( شريف ) يتردد :

- ( عبير ) ..! استيقظي سريعا ..! إن ( دراكيولا )  
فى غرفتك الان ..! هل تسمعين ؟.. ( عبير ) !  
!.....

\* \* \*

وهكذا - فى شمس النهار البهيجة - مشى ( فان  
هلسنج ) مع ( عبير ) فى شوارع المدينة ، يتأملان  
العربات ذات الخيول والمارة ..  
كان يثرثر دون انقطاع ، حين أشارت له بيدها أن  
انتظر قليلا ..

اتجهت إلى نافذة متجر تنعكس على زجاجها صورة  
الطريق بما فيه .. هى الان ترى انعكاس وجهها  
بوضوح تام ..

حقا لم تكن ( عبير ) على شئ من الجمال ، لكنها  
لم تعهد فى وجهها قط هاته الهالات السمراء حول  
عينيهما وثغرها .. لم تعهد هذا اللون الرمادى الكئيب ..  
لم تعهد هاتين الشفتين الشاحبتين الميتتين .. أترأه لون  
الزجاج ذاته ؟.. لا ..

إنها ترى وجه ( فان هلسنج ) محتفظا بألوانه  
العادية ..

تملكتها الرجفة .. وتساءلت :

- ماذا دهاتى يا بارون ؟

ابتلع ريقه .. ثم قال فى كياسة :

- الحق أنك تفقدين دماءك سريعا يا آنسة .. ولكن الأمر أخطر من مجرد فقد دماء .. إن ( دراكيولا ) كان قادرا على أن يستنزف دماءك من أول لحظة ، لكنه للأسف لم يفعل ..

- للأسف ؟!

- نعم .. إن مصاصى الدماء إما أن يفرغوا دماء ضحيّتهم فورا فتموت - وهذا لحسن حظها وحظنا - وإما أن يفرغوا كميات محدودة على أيام متوالية .. وهذه تجربة مريرة تنتهى بالموت .. أعنى : تنتهى بما يبدو لنا موتا .. لكن هذه هى البداية .. إذ سرعان ما يتم التحول إلى مصاص الدم داخل القبر ، وتغادر الضحية عالم الأحياء لتدخل فى عالم ( اللاموتى ) ..

- وأنا أمر بالنوع الثانى من المعاملات ؟

- بالتأكيد .. لا بد أنك قد رقت له كثيرا .. أو ربما هو يريد أن يجعل مغامرتك فى ( فاتنازيا ) مثيرة حقا ..  
- اللعنة على هذا النوع من التسلية !

نظر لها .. والتمع التصميم فى عينيه الرماديتين المنهكتين :

- يجب أن نمنعه من التماذى لربما كانت الليلة هى  
الأخيرة !

- بارون ( فان هلسنج ) .. كيف تجد الوقت الكافى  
لعمل أى شىء سوى قتل مصاصى الدماء ؟!  
- أوه !.. إننى أستمتع حقاً بتعليق الأيقونات ودق  
الأوتاد فى صدور مصاصى الدماء وفتح التوابيت .. إن  
لكل إنسان هواية .. وهوايتى هى نوع من ..  
- مثل جمع الفراشات ؟!  
- نعم .. بالضبط !

\* \* \*

حقاً إن هذا الرجل موهوب ..!  
شرعت ( عبير ) برمق جهود ( فان هلسنج ) الدعوب  
فى تعليق حزم الثوم .. وتثبيت الصليبان والأيقونات ..  
ورش الماء المقدس فى أرجاء الحجرة ..  
- ثم - بعد أن اطمأن لكل شىء - شرع يحشو  
مسدسه ، وجلس على مقعد جوار الفراش ينتظر ..  
اقترب الليل لكن ( عبير ) لم تتم ..  
كيف تنام وهى تعرف ما ينتظرها ؟.. ثم كيف تنام  
وهناك من يجلس جوار الفراش يراقبها كالصقر ؟!  
الثانية عشرة مساء ..

الان تدرك حقيقة نسيئها منذ البداية :

إن ( فان هلسنج ) سلحفاة عجوز عاجزة عن  
السهر .. لقد شرع البارون يهوم برأسه ذات اليمين  
وذات اليسار . ثم رأت رأسه يهوى فوق صدره و ...  
خ خ خ خ ..!

هل توقظه ؟ .. حرام ..! يبدو مرهقا ..  
ومن المؤسف أنه يعانى من الغطيط فى أثناء  
النوم ..

ترى هل هو متزوج ؟ ..  
مستحيل أن تتحمل أية امرأة هذا ( الموتور ) الذى  
يعمل بالديزل فى غرفة نومها ..  
جلست على الفراش وشرعت ترمقه فى غيظ ..  
وفجأة سمعت النداء ..  
النداء يسرى فى أعماقها ويدعوها إلى مغادرة هذه  
الغرفة ..

لا تدرى من صاحبه .. لكنها مضطرة لأن تطيع ..  
هى تعرف ما سيؤدى إليه هذا .. لكنها عاجزة عن  
المقاومة ..

فى خفة - حافية القدمين - تثب من الفراش .. تفتح  
باب الغرفة .. تهبط فى الدرج .. لا أحد بالطابق السفلى ..

تخرج إلى الشارع المظلم إلا من ضوء القمر الفضى  
البارد ..

تقف هناك ..... وتنتظر ..

ها هو ذا أت من أجلها .. قادمة من آخر الشارع ..  
قامته الفارعة . وحرملته السابغة . والثقة الزائدة  
بالنفس ..

إنه هو إذن ..

لا جدوى من المقاومة ..

\* \* \*

لم تدر ( عبير ) سوى بالظلام الدامس يحيطها  
تماما .. ولم تفهم ما كان يمر بها إلا مؤخرا ..  
لا تعرف سوى أنها كانت جائعة .. جائعة كوطواط ..  
الحاجة إلى الطعام تدفعها دفعا إلى الخروج والبحث  
عن شيء يؤكل ..

ولكن لماذا هي معددة في هذا الصندوق ؟ ..  
لماذا لا توجد نسمة هواء من حولها ؟ .. والأغرب هو  
لماذا لا تختنق ؟ ..

أسئلة لا جواب عنها .. لكنها - على كل حال - مدت  
يدها وشرعت تهشم طبقة الخشب فوق رأسها ببطء  
وثقة .

تربة نهوى فوق وجهها .. تملأ عينيها ..  
تربة رطبة ندية مخلخنة .. تزيحها باظفارها إلى أن  
تتمكن من أن تخرج رأسها إلى سطح الأرض ..  
غريب هذا !.. الظلام يسود المكان .. وعواء الذئاب  
يتردد من بعيد . لكنها غير خائفة ..

شعورها كأنها كانت تقف أمام فوهة المسدس .  
فصارت هي المسبحة به الآن !.. توحدت مع الظلام  
والذئاب لتصير كلا واحدا . هذا هو عالمها الذى تعرفه  
وتفهمه ..

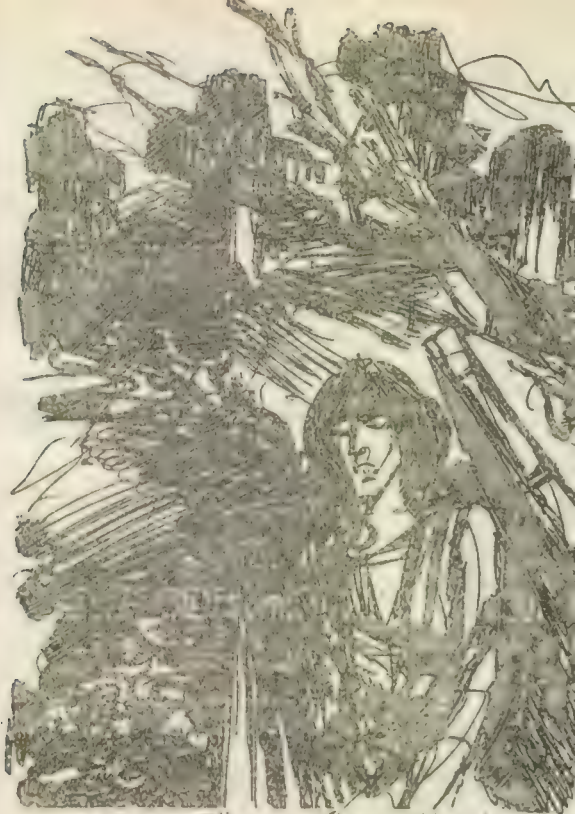
تمشى بين تمواء القبور شاعرة بالأنفة .. لم يعد  
هذا غريبا عنها الآن .. إلى أين ؟  
إلى حيث يوجد الطعام ..

\* \* \*

وكان الطعام هناك...  
عابر سبيل ثمل يترنح ويغنى بعض الأغاني  
المخيفة ..

لو كان قد قابلها منذ يومين لماتت رعبا . أما الآن  
فهى تقف فى طريقه .. وتبتسم برقة ..  
يتوقف عن السير ويشرق وجهه كاشفا عن أسنان  
نخرة :





عريب هذا ! الظلام يسود المكان .. وعواء الذئب يردد من بعيد .

لكنها غمر خالفة

- هيه !... أيتها الحسنة .. إن مثلك لا يجب أن يمشى  
 جوار المقابر .. لماذا لا تأتين معي إلى حيث ..  
 ثم يتصلب .. تموت الضحكة على شفتيه ..  
 تموت ، بينما تبعث الضحكة على شفتي ( عبير ) ..  
 ضحكة لها نابان طويلان وعينان تشتعلان دما ..  
 وفي اللحظة التالية ، تقبض على معصمه بأصابع  
 كأنما هي من فولاذ وتجذبه إليها .. وتنقض على عنقه  
 انقضا الصقر على أرنب وديع غافل .. وتبدأ عملية  
 الامتصاص التي استغرقت عشر دقائق ..  
 لقد كان كل هذا لذيذا !

\* \* \*

بينما هي عائدة إلى المقابر ، خطر لها أن ( دى -  
 جى - ٢ ) يبالغ في تسليتها حقًا ..  
 أولا : جعلها تعيش مع مصاصي الدماء  
 والمذعوبين ..  
 ثانيا : يحاول الان جعلها تعيش خبرة أكثر إثارة  
 وأكثر تفردا ..  
 ما هي مشاعر وأفكار مصاص الدماء ؟ .. إن هذا لم  
 يخطر لأحد من قبل .. لكنها الان تعيش التجربة  
 كاملة ..

من يمكنه أن يشكو من ملل الواقع بعد اليوم ؟ ..  
المهم الآن أن تجد مكانا مظلما ورطبا قبل أن تشرق  
الشمس .. غزيرة البقاء الوليدة لديها تحفزها على  
هذا ..

من الحكمة أن تعود إلى المقبرة في الوقت الحالي  
إلى أن تجد مكانا أكثر أمنا غدا ..

\* \* \*

في ذات اللحظات كان ( شريف ) يعيش أسود لحظات  
حياته على الإطلاق ..

فمن مكانه خلف شاشة الكمبيوتر ، كان يرى كل هذه  
التفاصيل المريحة بالتفصيل الممل .. ولم يكن المسكين  
ممن يطبقون أفلام الرعب .. ولم يكن يعرف عن  
( دراكيولا ) سوى أنه ذلك الشخص الذي يكفى وضع  
اسمه ضمن عنوان الفيلم ، كي يصير الفيلم ممنوعا  
لأقل من ستة عشر عاما ، ويعزف ( شريف ) عن  
مشاهدته ..

أما الآن وهو يرى هذا الكابوس ، فقد قف شعر  
رأسه منتصباً وجف ريقه .. إن هذا الذي يراه هو حتما  
جزء من ثقافة هذه الفتاة وخيالها .. وبإلها من  
ثقافة ! ..

كيف يحب بعض الناس هذه الأشياء الرهيبة ؟ ..  
وكيف يقضى آخرون حياتهم فى تأليف هذه الخيالات  
المريضة ؟! ..

وكان قد ادرك منذ ساعة . أن صوته لا يصل للفتاة  
أو - على الأقل - لا يصلها فى الوقت المناسب أبدا .  
لهذا قرر أن يريح ذهنه ويكفى بالمشاهدة ..

دعها تستمتع بهذا الشيء المقلز . إذا كانت  
ستمتع .. لقد أوشك أن يوقف البرنامج عدة مرات كلما  
رأى خطرا داهيا يحيق بها .. لكنها تبدو له مستمتعة  
بكل هذا ، فلماذا يفسد متعتها هذه ؟! ..

لكنه ذهب إلى الحمام ذات مرة .. ثم عرج على  
المطبخ ليعد قدحا من الشاي لنفسه ، وحين عاد إلى  
الشاشة ، رأى أشياء مريعة حقا ..

رأى ( عبير ) تنبش قبيرا لتخرج منه .. وتهيم فى  
الظلام ، وتمتص دماء عابر سبيل أوقعه حظه العاثر فى  
طريقها ! ..

يا لها من تسلية ! .. المشكلة أنه صار يشعر بذعر  
حقيقى من ( عبير ) الجالسة أمام الشاشة مغمضة  
العينين ، والأقطاب على رأسها ..

مستحيل أن تكون هذه الفتاة بحال طبيعية كما عرفها

حين تنهض من نفوسها هاد ..  
وفي تعاسة ليس يراقب ما يدور على الشاشة ..

\* \* \*

إنه الليل ..

ومن جديد النور يمزق احشاءها ..  
تنهض باحثة عن فريسة جديدة .. وهي تفكر .. إنها  
الآن تعرف البرنامج اليومي لمصاصي الدماء ..  
النوم حتى العاشرة مساء .. الجولة الليلية ..  
الافتراس .. العودة إلى النوم في تمام الرابعة صباحا ..  
حياة منتظمة .. يمكن ان تكون رتيبة بعد أعوام ..  
أما الان فكل شيء يبدو غريبا طريفا ..

وفي الظلام سمعت خوارا .. فاستدارت لترى ..  
رأت رجلا يهجم عليها .. المشكلة الوحيدة هنا ، هي  
أن الرجل كان له رأس ذنب .. إنه مذعوب . غريب  
هذا !.. المفترض أن القمر ليس بدرا .. لكن كل شيء  
متوقع في ( فانتازيا ) ..

لكنها الان لا تخاف المذعوبين .. إنهم بالنسبة لها  
دعابة سخيفة .. أشبه بالأطفال حين يرتدون أقنعة  
مخيفة رديئة الصنع . ويحاولون إفزاعك .. أما هي ..  
هي الفزع ذاته ..

ودون أن تتكلم أو تنفعل . وثبت بين ذراعيه  
المنتهيتين بمخالب وأنشبت أنيابها فى عنقه ..  
صرخ المذعوب .. تلوى ألما .. حاول أن يتملص  
منها . لكنها كانت متعلقة بعنقه كما يتعلق الوطواط  
مصاص الدماء بساق دابة ..

وفى النهاية خارت قوى الوحش وتهاوى أرضا ..  
لم يتوقع مفاجأة كهذه فى حياته المهنية ..  
عندما يموت المذعوب يعود إلى طبيعته الأدمية .  
والآن تستطيع ( عبير ) أن ترى وجه ضحيتها  
الشاحب ..

هذا الوجه ذا الشارب الكث .. والمنديل المحلاوى  
العلاق الساقط على الأرض جواره .. إته ( سعيد ) !  
خطيبها السابق أو الحالى .. لا تدرى بالضبط .. ماذا  
جاء به إلى ( روماتيا ) ؟ ..

متى صار مذعوبا ؟

أسئلة بلا جواب ..

لكنها سعيدة للغاية بأنها خلصت البشرية من شره  
ومن حبه للسباكة ..

إن ( عبير ) ليست مخبولة ولا بلهاء .. وتعرف جيدا  
أن ( دى - جى ٢ ) وجد صورة الرجل الذى تمقتة داخل

ذاكرتها . من ثم جعله مذعوبا يموت على يدها . لمجرد  
أن يعطيها لذة كهذه .. أى أن ظهور ( سعيد ) هو مجرد  
مجاملة رقيقة من ( دى - جى - ٢ ) ..

لكنها قد استمتعت بهذه المجاملة أيما استمتاع ..

والآن حان وقت النوم ..

عادت إلى موضع القبر عازمة على الهبوط إليه ..

لكنها وجدت حزما من الثوم تغطي التربة كلها ..

- من الذى ؟

تساءلت فى وحشية ، ورفعت عينيها لتجد البارون

( فان هلمنج ) واقفا جوار شاهد القبر ..

وكان فى يده وقد خشبى مصنون ..

\* \* \*

## ٨- الذى يجب أن يموت ..

---

- بارون ! .. مرحبا بك .. ادن منى أكثر !  
هتفت منادية الرجل .. وهالها أن صوتها خرج إلى  
القحيح أقرب ..

أما هو فترجع إلى الوراء وفوجئت به يهتف  
بصوت صارم :

- ابتعدى عنى بحق السماء !

ارتج كياتها كله من عبارته .. لم تدر سر ما أصاب  
نفسها من عبارة عادية كهذه .. ثم فطنت إلى أنها  
- وقد صارت مصاصة دماء - لم تعد تحتمل أية عبارات  
ذات رمز دينى ..

أصابها الرعب . للمرة الأولى تدرك أى درك قد  
اتحدت إليه ..

لقد صارت حقاً مصد

- بارون .. أرجوك أن تساعدنى !

قالتها وانفجرت باكية ..

كان منظرا غير مألوف أن تراها تبكى .. وقد برز  
ناباها المرو .. ن ، وسال حيط من الدم الجاف على



ذقتها .. الرعب الحزين إذا صح هذا التعبير ..  
حزن لا يثير أى شفقة فى النفس من أى نوع ..  
لكن ( فان هلسنج ) كان على استعداد لكى يفهمها ..  
لقد أحضر الورد والمطرقة والفأس . بغرض القضاء  
عليها ، فور عودتها من جولتها الليلية ..  
كان - بعد دفنها - يعرف أنها لم تمت حقاً .. إنما هى  
فى طور التحور ، وكأن تابوتها نوع من الشرائق التى  
تتحول فيها دودة القز إلى فراشة .. بالمثل تتحول هى  
من إنسان إلى خفاش آدمى ..  
لهذا انتظر ثلاثة أيام ، ثم جاء لينهى مهمته الشاقة ،  
التى لم يحبها قط هذه المرة .. لكنه كان مضطراً ..  
لكنه - فى هذه اللحظة - يرى أنه من الممكن  
مساعدة هذه البائسة ..  
ولم لا ؟ ..

إن الأوان لم يفت تماماً .  
أمسك بيدها الباردة كالسج .. وقال فى حزم :  
- أنا ميال إلى تهيق هذه الدموع ..  
وأخرج منه صوته وصوبه إلى رأسها .. وأردف :  
- سأفبر رأسك دون تردد برصاصاتى الفضية ، لو  
حاولت أن تخدعيني .. اسمعيني .. ما زال بإمكانى أن

أساعدك مادمت فى بداية مرحلة التحول .. بعد يومين  
سيأتى الكونت ( دراكيولا ) ليأخذك إلى قلعة لتعيشى  
هناك أبداً ، وعندئذ تكونين قد خرجت من دائرة الأمل  
إلى الأبد .. لهذا يجب أن نمنع ذلك وبأسرع وقت ممكن ..  
والتمتع التصميم فى عينيه :

- كونت ( دراكيولا ) يجب أن يموت !

\* \* \*

قلعة ( دراكيولا ) من جديد ..

الشمس تعلى عرش السماء مظنة ملكوت الظهيرة ،  
ومن بعيد تتحرك بعض قوافل الفجر قاصدة وجهة ما ..  
وبين الأشجار وقف ( فان هلسنج ) و ( عبير )  
يومان القلعة التى لم تعد مرعبة إلى هذا الحد فى  
ضوء النهار ..

كأت ( عبير ) مدثرة بالكامل - حتى وجهها  
وعينيها - بثياب سوداء ثقيلة ، تمنع أشعة الشمس من  
الوصول إلى جلدها .. جلد مصاصة الدماء الحساس  
سريع الاحتراق .. هذه هى الطريقة الوحيدة التى تمكنها  
من رؤية النهار .. ، صحيح أن النعاس يقتلها  
ويغالبها ، لكنها تقاومه بإرادة فولاذية ؛ لأنها - حقاً -  
راغبة فى الخلاص ..

قال لها ( فان هلسنج ) وهو يقودها بين الأشجار :  
- الان ندخل .. فرصتنا الوحيدة لقتل الكونت هي  
الان . بينما هو نائم في تابوته . وفي اوهن حالاته ..  
كل ما أريده منك . هو أن تساعدني على تثبيت الود  
في صدره .. هذا لن يكون سهلا دون عونك .. فهل  
تخذيلىنى ؟

- لا .. أعتقد لا ..

وبأناملها تحسست الحقيقية الهائلة التى يحملها .. هى  
تعرف ما تحويه هذه الحقيقة دون جهد كبير ..  
الود والمطرقة وزجاجة الماء المقدس والثوم وكتاب  
الصلوات ..

يحملها هذا الرجل العجيب فى استمتاع . كأنه ذاهب  
للعب التنس فى النادى ..

إن ( غدة مصاصى الدماء ) هذه ، صارت مألوفة لها  
كما يحمل السباك غدته ويحمل الكهربائى غدته ..  
معا يقتربان أكثر فأكثر من القلعة .. أعنى - بالطبع -  
أنه هو من كان يقترب .. فالفتاة لا ترى شيئا خلف  
الحجب الثقيلة المسدنة على عينيها ووجهها كما قلنا  
آنفا .

سمعت صرير الباب إذ ينفتح ببطء .. وعرفت أنه

غير موضح من الداخل .. غريب هذا .. كأنما ترك  
الكونت الباب مفتوحا لغرض فى نفس ( يعقوب ) ..  
لكنها ابتلعت هذا الخاطر ولم تفض به للبارون مادام  
يعرف ما ينبغى عمله ..

إنهما فى الداخل الآن .. تسمع الباب يوصد .. ثم  
يقول لها البارون فى صوت كالضحك :

- اتزعى الغطاء الان لترى ..

تنزع الغطاء .. فترى ذات القاعة والمائدة العملاقة  
والمدفأة ..

كل شيء كما هو بستائرہ السوداء الممزقة ..  
وخيوط العنكبوت ..

وعلى الجدار يتراقص بندول ساعة حائط ، معلنا أنها  
الخامسة عصرا ..

لماذا جرى الوقت بهذه السرعة ؟

ثم تذكرت أن النهار يكون سريعا جدا فى قصص  
( دراكيولا ) .. الليل يحل بسرعة جنونية ، ثم يجثم  
كالكابوس على النفوس كأنه أبدي .. لأن الأحداث  
المثيرة تحدث فى الليل فقط .

قال لها ( فان هلسنج ) وهو يخرج محتويات  
حقييته :

- مازالت ثلاث ساعات تفصلنا عن الظلام .. إن قتل  
(دراكيولا) لا يستغرق سوى دقيقة .. المهم هو أن  
نجد أولاً ..

وفجأة تصلب ونظر إلى ركن القاعة المظلم ..  
وهتف :

- هناك شخص يتحرك !!

\* \* \*

أخرج مسدسه وصوبه نحو الظل المتحرك القادم من  
أعماق الظلام .. وفي لهجة منذرة صاح :

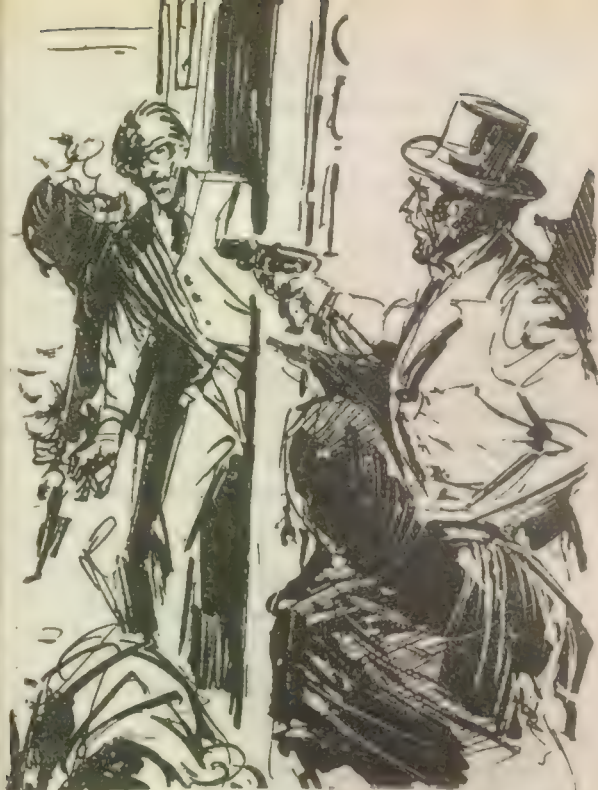
- أيما ما كنت .. إن هذا المسدس محشو برصاصات  
الفضة .. أى أنه قادر على قتل البشر والأشباح سواء !  
صوت سعة وكثير جدًا من الدخان .. ثم رأينا رجلاً  
ناعلاً زال شعر رأسه من مقدمته .. يرتدى ثياباً  
عصرية بالنسبة لـ (عبير) ، ومنظاراً سميكاً ..

تقدم الرجل منهما وهز ذراعه محيياً :

- تحية لكما ..

ثم رما لفافة التبغ التى كانت تصدر كل هذا الدخان  
دس الأرض .. وتناول (جاكت) بذلة ملقى على المائدة  
فا تداه ..

هتفت (عبير) وهى ترى ملامحه المألوفة لها :



ثم رأى رجلاً ناعلاً زال شعر رأسه من مقدمته - يرتدى ثياباً عصرية

بالسنة ل (غير) ..

- هل .. هل أنت د . ( رفعت إسماعيل ) ؟  
 - للأسف أنا هو يا آنسة .. معذرة على مقاطعة  
 مغامرتكما .. فقد كانت لى مغامرتى الخاصة هنا ..  
 فى حلق صاح ( فان هلسنج ) :  
 - المفترض - حسب البرنامج - أن يكون انقصر  
 خاليا .. كانت لديك الفرصة للقيام بما تريد امس  
 بطوله .. إن وقتى ضيق كما تعلم ..  
 هز ( رفعت ) يده فى رزاة .. وغمغم :  
 - حسن .. معذرة على سهوى .. حدث خلط فى  
 المواعيد - لا عليك - لسوف أترك لكما المكان بأكمله ..  
 بالمناسبة : إن ( دراكيولا ) ينام فى تابوت بالطابق  
 الثانى .. ثالث غرفة على اليسار .. حظا سعيدا .  
 وأسرعاً لأن الليل قد اقترب ..  
 واتجه لباب القلعة .. فما إن فتحه حتى صامت  
 ( عبير ) :  
 - أية مغامرة تقوم بها الآن يا د . ( رفعت ) ؟!  
 - أسطورة دمء ( دراكيولا ) .. والآن وداعا  
 يا صغيرتى ..  
 واتغلق الباب وراءه ..  
 - هؤلاء الهواة السخفاء .. ينبغى صدور قرار

يمنعهم من التدخل فى أعمال المحترفين .. إنهم يزيدون  
الحياة سوءاً !

كذا هتف ( فان هلسنج ) مشمئزاً ، وهو ينظر فى  
اتجاه ( رفعت ) .. ثم دعا الفتاة المبهورة كى تصحبه  
إلى الطابق الثانى .

ولم ينس أن يخرج مشعلأ من حقيبته يوقده بعود  
ثقاب ..

فلا بد أن الظلام دامس هناك ..  
ومعا شرعا يصعدان فى درجات السلم الخشبية ..  
ببطء .. ببطء ..

إنهما الآن عند الدرجة السادسة ... و ... كريبيك ! ..  
كراش !

لقد تهشمت الدرجة من تحت أقدامهما ..  
شعرا بأنهما يهويان فى الظلام للحظة ..  
ثم فتحا عينيهما ، فوجدا أنهما راقدان على أرض  
ترابية فى مكان حالك الظلمة ..  
أشعل ( فان هلسنج ) المتعل وهو بعد على حاله من  
السقوط ..

وعلى ضوء اللهب المتراقص ، عرفا أنهما فى قبو  
ضيق صغير . كان أسفل درجات السلم المهشمة ، التى  
صارت الآن فوق راسيهما ..



فى ركن القبو كانت هناك عظام آدمية بالية ، وفأر  
أو فأران يهرعان فارين من ضوء المشعل الذى لم يريا  
مثله من قبل ..

- لا بأس ..

هتفت ( عبير ) وهى تنهض وتنفض التراب عن  
ثيابها .. وأردفت :

- دعنا نصعد إلى السطح ثانية ونجد الكونت ..

ابتسم ( فان هلسنج ) ابتسامة مريرة .. وغمغم :

- هذا عسير يا ملاكى .. أعتقد أننا قد كسرت ساقى

حين سقطت فى هذه الحفرة .. ألم تلاحظى ذلك بعد ؟!

! .....

\* \* \*

## ٩- المأزق ..

فى فلق تساءلت ( عبير ) عن معنى هذا .. وفى توتر  
جانبها البارون أن معنى هذا أنهما مكبلان ها هنا .. فى  
هنا سألتها عما هما فاعلان .. وفى ضيق أخبرها أنهما  
أن يفعل شيئاً .

ثم نظر لها نظرة ذات معنى .. وقال :

.. من الواضح أن المسئولية ستقع عليك أنت !

.. أية مسئولية ؟

.. مسئولية قتل الكونت طبعاً ..

وشرع يشرح لها ما ستقوم به بعد مغادرة هذا

القبو ..

أولاً : العثور على التابوت ..

ثانياً : فتحه ..

ثالثاً : غرس الوتد الخشبى فى قلب مصاص الدماء

النائم ، باستعمال المطرقة ..

رابعاً : تلاوة صلاة قصيرة ..

خامساً : قطع الرأس بالفأس وحشو الفم بالثوم ..

.. يا للهول !.. أتظننى قادرة على عمل هذا كله ؟..

- أنا نفسى كنت سأمارس معك ذات الطقوس انس  
لو لم تفعلى . لصرت مصاصة دماء للأبد .. ولجاء من  
يفعل معك ذات الشيء يوما ما ..  
- لكن .. أعصابى لا ...

- ( عبير ) !.. أنا أريد أن تفعلى هذا ..  
وهكذا وجدت ( عبير ) نفسها تحاول التسلق إلى  
أعلى القبو .. كان الارتفاع منخفضا ، لكنها لاقت أيما  
عسر فى محاولاتها هذه ، خاصة والحقيقية الثقيلة  
متدلية من ذراعها ..

وأمكنها أن تفهم سر حماس ( فان هلسنج ) .. فهو  
إلى حد ما غير مرتاح إلى البقاء معها فى القبو حين  
يسود الظلام ..

لم لا ؟.. ألم يرها أمس عائدة والدم الجاف على  
شفتيها ؟

ألم ير نابيها الحادين ، اللذين تحاول ألا تظهرهما  
الآن ، عن طريق الكلام بفم مطبق ؟  
لقد تمكن من التعامل معها بسهولة .. ولكن ألم يكن  
ذلك لأنها لم تكن جائعة بعد وجبة أمس ؟..

كيف سيكون الحال حين يحل الظلام . ويعود إليها  
الجوع الحيوانى الذى لا يشبع ؟

إنها لا تلومه . بل هي ذاتها لا تدري في الواقع ما قد  
ترتكبه إذا حل الظلام ، وشعرت بالحاجة إلى الدماء  
الساخنة تصحو في جوفها ..

وأخيرا استطاعت أن تصل إلى الفتحة ، وتمسك  
بجسدها النحيل من خلالها .. ونظرت له حيث رقد  
أسفلها ..

كان ينظر إلى ساعة جيب أخرجها من صدره على  
ضوء المشعل ..

سألته ( عبير ) وقد ثنت جسدها فوق درجات السلم :

- كم بقي من الوقت ؟

رفع وجهه نحوها ، وأدركت أنه يخفي قلقه ..

قال لها محاولا الابتسام :

- بقي ما يكفي .. ولكن لا تتلكني أرجوك !

إذن .. فالوقت لم يعد كافيا ..

\* \* \*

ضوء الغروب الأرجواني ينساب من نافذة قديمة

تهشم مصراعها ..

و ( عبير ) تحبس أنفاسها وتصعد في الدرجات

اثنتين .. اثنتين ..

هي نفسها تشعر بأن قواها تزداد ، وعزيمتها تقوى ..

لكنها فى الوقت ذاته صارت اقل رغبة فى إنهاء مهمتها ..

إن السبب واضح طبعا .  
هى نفسها قد بدأت تكتمل كمصاصة دماء .. وصارت أقرب إلى ان تهبط إلى ( فان هلسنج ) فى القبو لتمتص دمه ، من أن تقتل سيدها والمسنول عن تحولها هذا ..  
لكنها واصلت الصعود ..

ترى ماذا قال هذا المأفون ( رفعت اسماعيل ) ؟ ..  
الطابق الثانى .. رابع غرفة على اليسار .. أم لعلها الثالثة ؟ ..

أعتقد أنه قال الرابعة ..  
بالتأكيد هو كذلك ..

\* \* \*

فتحت الغرفة ملهوفة ..  
رائحة العطين تفعم المكان .. وعلى السقف تحرك خفاشان متدليان ، أثارت هذه الضوضاء ضيقهما ..  
تهرع إلى النافذة فتفتحها .. ضوء الغروب الدامى ينسل ليغمر أرجاء الغرفة بذلك اللون الذى لا يوصف ..  
كانت هناك ثلاثة توابيت محكمة الإغلاق .. ترى أيها ؟  
اتجهت إلى الأول واستجمعت شجاعتهما ، فازاحت

الغطاء . ثم شهقت ووثبت مقرا إلى الوراء ..  
كان فارغا ...

الضوء يبرد ببطء متجها إلى نطاق الأزرق ..  
اتجهت إلى التابوت الثانى وفتحته .. وفى الضوء  
الأزرق رأت فتاة نائمة .. فتاة شاحبة يبرز نابان من  
فمها ضاعطين على شفرتها السطلى .. كأنما شيطان  
يحلهم ...

لم يكن ثمة وقت تضييعه فى تأمل تلك الفتاة ..  
اتجهت إلى التابوت الثالث ، وأزاحت الغطاء الثقيل ..  
كان فارغا ...

إذن كان الكونت فى الحجرة الثالثة . لعنت ضعف  
ذاكرتها .. وهرعت خارجة من الحجرة ..

\* \* \*

لقد صارت مذعورة .. خائفة ..  
نكن الذعر لن يجدى .. وهذا الكابوس لن ينتهى إلا  
حين ينتهى ..

يجب أن تظل فى مقعدها بالسينما حتى يعود  
خالها !.. هكذا تعلمت منذ أعوام طوال ..

يجب أن تستمر فى هذه المسرحية وإلا .. يبدو أنها  
توشك على الموت ذعرا .. قلبها الشاب يوشك على

التوقف .. وهى تذكر جيدا كلمات ( شريف ) :  
« نو حدث ان هنكت فى أثناء الحلم . ستهنكين فى  
الواقع فى ذات اللحظة !!  
لماذا ؟ .. لأن النظام انطرقى يسيطر على النخاع  
المستطيل .. و ... نعم تفهم حرفا .. لكن المعنى العام  
للكلام مفهوم ...

\* \* \*

الغرفة الثالثة بها تابوت واحد فاخر الشكل ..  
يبدو جديرا ومناسبا لسيد النياجير ..  
أزاحت غطاء انتابوت .. يا لثقله ! .. هيا ! ..  
أسرعى ! .. يجب أن تتمكنى من إزاحته قبل أن ...  
للأسف صار الظلام هو الملك .. وبصعوبة يمكنك أن  
ترى تفاصيل التابوت وما فيه .. لكن الفرصة لم تضع  
بعد ..

هو ذا الكونت ( دراكيولا ) يرقد فى التابوت . وقد  
عقد ذراعا على صدره . وعلى شفتيه ابتسامة واهنة  
شريرة ..

أخرجت الوند الخشبي من جعبتها .. ثم المطرقة ..  
وبيد مرتجفة ثبتت الطرف المدبب على قلب الرجل ..  
ترى هل تستطيع ذلك ؟ .. لا بد .. لا يوجد مخرج آخر ...

رفعت المطرقة واستعدت نتهوى بها ..  
كان ذلك حين فتحت الجثة الراقدة عينيها ..

\* \* \*

إن هذا العواء هو غناء أبناء الليل .. ما أعذب  
موسيقاهم !

\* \* \*

بعين قلقة ، راقب ( شريف ) التوترات السريعة التي  
تمر بجسد ( عبير ) ، الجالس أمام شاشة الكمبيوتر  
والأقطاب على رأسه ..

كان رأسها يهوم يمينا ويسارا .. وشفتاها  
ترتجفان .. وثمة خيط من اللعاب يسيل من ثغرها إلى  
صدرها ..

لم يكن ذا خبرة طبية ، لكنه مذ يده وتحسس  
معصمها .. إن النبض بطيء جدًا .. وهذا - على قدر  
علمه - يعني أن هناك صدمة عصبية تمر بها الفتاة ..  
هل يوقف البرنامج ؟ .. إنه لا يضمن نتائج تصروف  
كهذا قد يكون هو الخرق بعينه .. ليدعه يستمر إذن ..  
وليحقق الفتاة في معصمها بحقنة ( أتروبين ) . فهو  
يعرف أن هذا كفيل بالقضاء على الصدمة . أو - بمعنى  
أدق - حماية القلب من أثرها ..



لحسن الحظ أن عنده صيدلية لا بأس بها .. وخبرة  
معقولة فى إعطاء الحقن الوريدية .. ولكن ليسرع ..  
ها هى ذى الإبرة ..

\* \* \*

شعرت ( عبير ) بالعضة فى معصمها . فصرخت  
وتراجعت للوراء ..

لقد تأخرت كثيرا إلى أن نهض الكابوس ..  
لماذا يحرق الشعور بالظما جوفها ؟ .. لماذا تشعر أن  
الدم يتسارع إلى وجنتيها ؟ ( هى لا تعرف أن هذا هو  
تأثير الأتروبين ) ..

( دراكيولا ) ينهض من القابوت ..  
طويلا مهينا مريفا .. يتقدم نحوها ببطء ... هى  
تتراجع إلى الوراء والوتد فى يدها ...

قال سيد الدياجير وهو يرخى عباءته على كتفيه :  
- إذن تحاولين قتلى ! .. تحاولين قتل من جعلك  
جاريته الأثيرة .. الذى اختار لك الخلود ..  
ثم ابتسم ابتسامته الكريهة المقيتة :

- أين ( فان هلسنج ) ؟ .. إنه هو من أغراك بهذا  
العمل الأخرق .. أليس كذلك ؟ ! .. أين هو ؟  
ولما رأها خرساء كالأسماك لا تفعل شيئا سوى  
الرجفة ؛ قال :

- حسن .. إنه فى القلعة .. أعرف هذا وأشعر به ..  
ولسوف أجده أولا .. بعدها أعنى بك !  
وبيد كاتها كلابات حديدية جذبها .. وساقها متجها  
نحو الباب ..

\* \* \*

فى ذات اللحظة تقريبا كان ( شريف ) يتأمل على  
شاشة الكمبيوتر ذلك المأزق الذى تواجهه ( عبير )  
حينما سقطت مع ( فان هلسنج ) فى القبو المظلم ..  
أدرك أنها تواجه مأزقا مريعا .. ولم يكن يدري أبعاد  
هذا المأزق ، ولن يدركها إلا بعد خمس دقائق أخرى ..  
هل يوقظ الفتاة ؟ .. مرة أخرى هو لا يجرف .. لربما  
كانت صدمة شبيهة بصدمة إيقاظ الماشى فى أثناء  
نومه .. يحتاج إلى أن تكون أكثر هدوءا واستقرارا  
ليوقظها ..

ربما كان هناك حل ..

إن كل كوابيس مصاصى الدماء تنتهى فى أشعة  
الشمس ..

وهو يعرف أن ماتراد ( عبير ) يتم فى وقت  
الغروب .. إذن فيقدم لها شمسا .. شمسا دفينة بهيجة  
تقتل أوهامها قتلا ..

إنها العاشرة صباحا فى دنيا الواقع ..  
فتح النافذة فأنسل منها شعاع الشمس الدافئ  
الجميل ليفترش أرض الحجرة .. لكن هذا لا يكفى ..  
هرع إلى الحمام فأحضر مرآة الحلاقة .. وشرع  
يعكس بها أشعة الشمس لتسقط على وجهه ( عبير )  
الغافية ..

وصاح محاولا تنبيهها :

— إنها الشمس يا ( عبير ) ..!.. الشمس !.. هل  
تشعرين بها ؟..

ها هى ذى تلمس بشرتك .. تلمس جفنيك .. صلاة  
صامتة تصليها بشرتك لخالق هذا النور .. هل  
تشعرين ؟.. إنها تحرق .. الدم يحتشد فى جلدك .. أنت  
تشعرين بها الآن .. إنه النهار !

\* \* \*

بالفعل ..

شعاع الشمس يخترق أستار النافذة الممزقة ..  
أجفل ( دراكيولا ) وترك معصم ( عبير ) ، وأنشاح  
بوجهه بعيدا .. ومن بين أنيابه هتف :  
— يا للشيطان !.. شمس فى الليل ؟!

لكن ( عبير ) كانت قادرة على الفهم .. إنها فى

(فانتازيا) حيث كل شيء ممكن .. إنها تشعر بجلدها يتسلخ ويحترق هي الأخرى ، لكنها تراجعته إلى الوراء .. وثبتت نحو النافذة وفتحتها على مصراعها ومزقت الستائر السوداء ..

صرخ (دراكولا) أشنع صرخة سمعتها في حياتها ..

راح يتحسس طريقه نحو الباب ، مغطيا وجهه بعباءته .. لكنها جرت وأغلقت الباب قبل أن يصل إليه .. هو ذا عاجز عن الوصول إلى المقبض .. يحاول العودة إلى التابوت ..

فتحت حقيبتها وأخرجت حزمة من الثوم ، وألقت بها داخل الباب .. لتفتح .. لتمنعه من دخوله .. أطلق زئيرا كزئير الضواري وشرع يقلوى .. مريع نر مشهد الموت هذا ..

كأته وحش كاسر يتألم .. والويل لمن يقف في طريق أله ..

- سيكون انتقامي مر و .....

قالها وهو يغطي وجهه ..

لكنها الآن تدرك أن الدخان يتصاعد منه .. وأنه يحترق .. تراه يتفحم ببطء أمام عينيها ..



وثبت نحو النافذة وفتحها على مصراعها ومزقت الستائر

السوداء ..

هى أيضا تحترق .. ليس مثله لكن الدخان ينبعث  
ببطء من مسامها . وبشرتها تلسعها كأن منات  
الدبابيس غرست فيها ..

هرعت إلى الباب . وقد أدركت أنه لن يستطيع اللحاق  
بها إلى هناك .. روح الشر .. روح الشر تحترق ..  
المهم الآن أن تهبط لتخبر ( فان هلسنج ) بالأمر ..  
ثم ...

إنها تشعر بأن بشرتها تتحسن .. إنها أفضل حالا ..  
هذا طبيعى .. لقد مات ( دراكيولا ) وتحررت من  
رقيقته للأبد ..

فلتجر إذن وتخبر ( فان هلسنج ) بكل شيء ..  
ثمة شخص ينتظرها فى الممر ..!..! ألن ينتهى هذا  
الكابوس ؟ ..

دنت منه أكثر وهى تستعد للمقاومة .. فإذا به  
( المرشد ) ! ..

ببذلته السوداء . والقلم ذى ( السوستة ) ينتظرها ..  
وعلى وجهه ابتسامة مأكرة .. وقفت أمامه تلهث ..  
تريد أن تقول شيئا . لكنها لا تقدر .. قال لها ليوفر  
عليها العناء :

- تحية يا انسة !.. يالها من فوضى !.. أعتقد أن

مغامرتك كانت شيقة ... !

قالت لاهثة وهي تعب أطنانا من الهواء :

- لقد قت .. قتلت .. الشمس .. احترق تماما .. قت ..

- نعم .. نعم .. تك تك ! .. والان هيا بنا .. فقد حان

وقت العودة ..

أراحت رأسها على الجدار خلفها .. وهتفت :

- لكن البارون ( فان هلسنج ) .. إنه فى القبو ..

مكس .. مكسور القدم .. لابد .. أن .....

ابتسم مهدنا إياها .. وتأبط ذراعها برفق :

- أعرف هذا كله .. ولكن دعك منه .. لسوف يعرف

كيف يتصرف .. والان هلا رحلنا ؟

- والد .. الكونت ؟

قال فى لامبالاة وهو يلوك شيئا فى فمه :

- آه ! .. إن هذا الوغد سيعود حتما !

- كيف ؟ .. لقد احترق تماما ..

- دائما ما يكون هناك شيء ما .. خاتمه .. قلاته ..

لا بد من نقطة يبدأ العودة منها كما تعلمين ، وإلا أفلست

ستديوهات ( هامر ) البريطانية ( \* ) ..

---

( \* ) اشتهرت استديوهات ( هامر ) البريطانية بأطول سلسلة من أفلام

( دراكيولا ) رخيصة التكاليف ، وكان يقوم ببطولتها غالبا ( كرسنوفرنى )

مع ( بيتر كوشنج )

أثارت غيظها تلك اللامبالاة التى يتعامل بها .. إنه مجرد موظف حكومى يتقاضى مرتباً من إدارة ( فانتازيا ) ، ويريد إنهاء هذه ( الشغلالة ) سريعاً .. لكنها لم تجد بداً من الرحيل معه ..

معا خرجا من القصر المشنوم . وضوء النهار البهيج يغمر العالم بألف حلم وألف أمل ..

ومن بعيد رأت قطار ( فانتازيا ) قادماً ..

- هل سأركب معك من جديد ؟

- ليس فى هذه المرة يا ( عبير ) .. هناك مرات

قادمة لاحصر لها .. والآن .....

وحين نظرت إلى قدميها ، أدركت أن ثياب ( مصاصمو

الدماء ) إياها الممزقة المغبرة قد تلاشت .. وعادت فى

ثياب القرن العشرين التى جاءت بها ..

وحين رفعت عينيها رأت شاشة الكمبيوتر أمامها ..

ورأت وجه ( شريف ) يبتسم ..

\* \* \*



## خاتمة ..

لم تستغرق الرحلة سوى ساعة بالنسبة لمقاييس الواقع ..

لكنها - فى عالم الخيال - استغرقت أسبوعاً أو أقل قليلاً ، وهو شيء لم تسبّطع ( عبير ) فهمه .. لكن ( شريف ) قال لها :

- فى قصة - كثنائية ( نجيب محفوظ ) - تقرنين وتعيشين أحداثاً مدتها أربعون عاماً . لكنك تطالعينها فى أسبوع أو أقل ، إذا ما كنت سريعة القراءة .. ، هذه هى نسبة الخيال ..

- « فهمت » ..

لكنها فى الواقع لم تفهم شيئاً على الإطلاق .. ولم عنها أن تفهم ..

كفاها أنها تهيم حباً بـ ( فانتازيا ) أرض الأحلام الساحرة .

قال لها ( شريف ) وهو يناولها زجاجة مياه غازية :

- اشربى هذه .. إن ( الأتروبين ) يسبب ظمأً شديداً ..  
عَدَّ كاد قلبك يتوقف حقيقة لا خيالاً ..

تناولت الزجاجة ومسحت فوهتها بمنديلها الورقى  
كعادتها .. ثم غمغت وهى ترمق الأفق من النافذة  
المفتوحة :

- غريب أنك نجحت فى أن تجعل الشمس تشرق فى  
حلمى ..

- هذا منطقى .. كثيرة هى المؤثرات التى نقحمها فى  
أحلامنا ، لأن العقل الباطن لا يجد وقتاً لتحليلها .. حلمت  
وأنا طفل أننى طيار شجاع يقود طائرة نفثة .. ثم ..  
سقطت الطائرة فى المحيط .. وشعرت ببرودة الماء  
تحيطنى .. واستيقظت فزعاً ..  
ثم ماذا ؟

احمرت أذناه خجلاً .. وغمغم :

- صحوت لأجد الفراش مبلاً .. لم يجد عقلى الباطن  
تفسيراً للإحساس بالبلل سوى أن يقحمه فى الحلم !  
ضحكت ثم كتمت ضحكتها بالمنديل الورقى .. لا بد  
أن مياه المحيط كانت دافئة إذن ! .. لكنها لن تقول هذا  
التعليق ..

لمدة ساعتين جلسا يشاهدان عرضاً سريعاً لذلك  
الكابوس الذى عاشته .. للمرة الأولى ترى كابوساً  
كاملاً مفصلاً على الشاشة .. والجديد هنا أن أحدا لم  
يوقظها ..

لا ( شريف ) ولا ( المرشد ) ..  
الآن حان وقت العودة إلى الواقع الكنيب ..  
- سأعود لدارى بعد أن أمر على الخياطة سريعا ..  
- وبماذا تفسرين هذه الساعات الثلاث ؟  
- سأقول إننى قابلت ( دراكيولا ) على باب الخياطة !  
ثم وضعت زجاجة المياه الغازية .. ونهضت :  
- أشكرك على كل شيء .. ستكون هذه المغامرة هى  
بنزين حياتى حتى .....  
- حتى ماذا ؟  
- حتى المرة القادمة !  
- لن تكون هناك مرة قادمة .. ألم قل لك هذا  
مرارا ؟!

\* \* \*

لكننا نعرف أن هناك مرة قادمة .. بل مرات قادمة ..  
لقد صارت ( عبير ) ضيفة دائمة فى ( فانتازيا ) ،  
و ( شريف ) يعرف أكثر من غيره أنها تنتمى لهنالك  
أكثر مما تنتمى لعالمنا .  
ليس له الحق فى منعها من زيارة عالمها الحقيقى ..  
وفى القصة القادمة سيدرك عجزه عن منعها أكثر  
فأكثر ..

ولسوف تقابل (عبير) رجلا يدعى بالغميل  
( ٠٠٧ ) .. وهو اسم قد يكون مألوفاً لبعضنا .. أما  
الاسم الذي نعرفه جميعاً فهو (بوند) .. (جيمس  
بوند) ..

\* \* \*

[تمت بحمد الله]

روايات  
مصرية الجيب

مغامرات ممتعة  
من أرض الخيال

فاتنات

## حكايات من الاشيا

يقولون فى الأساطير الرومانية إن هناك  
ثغرة يمرّ عبرها مصاصو الدماء والمذءوبون ،  
من عالمهم الرهيب إلى عالمنا .. وبالتحديد  
فى إقليم (والاشيا) . وفى (داشيا) . وفى  
(مولدافيا) .. هكذا يزعمون .. ولم تكن  
(عبير) تعرف شيئاً من هذا كله حين دخلت  
قلعة (فلاد) الذى يعرفه العالم باسم الكونت  
(دراكيولا) .. فماذا رأت وماذا سمعت !؟



د. أحمد خالد توفيق

الشمس فى مصر ١٥٠  
وما يعاينه بالدولار الأمريكى  
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع

١ شارع ناهل صفى بالقاهرة - القاهرة ١١٥٥٠٠٠